

المِلَّةُ السُّلْطَانِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي الْبَحْرَيْنِ

دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ مِنَ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ إِلَى الثَّلَاثِ عَشَرَ

إعداد / أ. يوسف هدن

ارتكز التعليم لدى علماء البحرين الأبرار على دور مؤسسات تربوية فاعلة بخاصة في زمن نهضتهم الثقافية الكبرى والمتألقة على امتداد قرون هجرية أربعة ممتدة من العاشر إلى القرن الثالث عشر، وتنوعت هذه المؤسسات نسبياً وفقاً للواقع الاجتماعي والثقافي الذي كانت البلاد تعيشه آنذاك، فقد تولت عمليات التعليم والتنمية الثقافية والروحية والأخلاقية بقيادة علماء الإمامية مجموعة من المؤسسات القائمة في المجتمع البحراني يومذاك، وأرست جهودهم واستثمارهم لهذه المؤسسات قواعد حركة نهضة كبيرة ما تزال أصداؤها - لحسن حظنا - ترن في الأسماع وتقاوم الزمان بالرغم من ضربات التحطيم التي انهالت عليها من قبل الغزاة والمعتدين على البحرين في تلك الفترة العصيبة وبالذات في زمن الحملات العمانية خلال القرنين (١٢ - ١٣) الهجريين.

فالمؤسسات التي عرفتھا التجربة الثقافية والتربوية في بلادنا هي الأسرة، والمدارس والحوزات الدينية والعلمية والمساجد، والكتاتيب المتناثرة في بيوتات عديدة وكثيرة، بل إن بعض العلماء اتخذوا من منازلهم محلاً للتعليم كما فعل الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي، والشيخ داوود الجزيري البحراني لبناء مدرسته بجزيرة النبي صالح، وكما فعل الشيخ حسين العلامة (بن الشيخ محمد آل عصفور) البحراني، والشيخ عبد الله السري البحراني المسمى في منطقة ستره وقراها بـ(المقلد) أو صاحب المعتمد، وحولوا بيوتهم ومنازلهم لمدارس تعليم لطلابهم، وكان غرضهم بالتأكيد العمل على تلبية حاجات المجتمع في هذا الجانب، واستجابة لرغبات الدارسين وطلبة العلم في تحصيله مبكراً.

إن هذه المدارس العلمية إحدى ركائز النهضة الثقافية ومظاهرها في البحرين خلال القرون الهجرية الأربعة الممتدة من القرن العاشر حتى الثالث عشر، وهي من أبرز أدواتها الناجعة في إدارة النشاط التعليمي في الفترة المذكورة، وبالرغم من الإشارات المتكررة لهذه المدارس في مصادر دراسة التراث الثقافي لعلماء الإمامية في البحرين فإنها مع ذلك كله لم تحظ حتى الآن بدراسات مستفيضة ومستقلة من الباحثين المعاصرين، بل وتعطيتها قدرها من الاهتمام والعناية الخاصة التي تناسب دورها العلمي - التاريخي في رفد الحركة العلمية وتعزيزها من القرن العاشر الهجري حتى القرن الثالث عشر التي بدأت في نهايات هذه الحركة في الأفول والتدهور والضعف لأسباب عديدة كتكرار حملات الغزو والاعتداء الخارجي على البلاد، فالمعلومات في موضوع المدارس قليلة، بالإضافة إلى تكتم إعلامي وكسل من قبل الباحثين البحرينيين في طرح أفكارهم حتى لو كانت أولية تمهد لدراسات لاحقة أكثر استفادة.

ومما يلحظ في إشارات مؤرخي الفكر التربوي والحركة الثقافية من علماء الإمامية في البحرين أنهم ببالغ الأسف يمرون على ذكر بعض المدارس العلمية أو كلها مروراً عابراً لا تفاصيل عنها، أو يضطرون إلى ذكرها مجملًا دونما تفاصيل في سياق كتاباتهم بحسب ارتباطها بحدث هام كحادثة هدم وتدمير مدرسة الشيخ داوود بن حسن الجزيري في جزيرة «النبي صالح» أو جزيرة «أكل» بمسماها التاريخي القديم، وإحدى أخطر هجمات الغزاة العثمانيين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين والتي تركت بصمات عميقة على الحركة العلمية في البحرين، فأوقعت في بنيتها الداخلية تدميراً هائلاً، وأعاققتها عن مواصلة تقدمها. وقد ترك نقص المعلومات وقلتها في مصادر دراسة التراث الثقافي والروحي - بلا شك - نتائج سلبية على معرفتنا المفصلة بالمدارس الفقهية والعلمية التي أسسها بعض علماء البحرين الكبار في الفترة المذكورة باستثناء معلومات مبعثرة هنا وهناك عن بعضها، فالباحثون المتأخرون من البحرينيين كانوا وما يزالون بحاجة لمعلومات عن هذه المدارس لدراساتها وإعداد بحوث موسعة عنها، فأحد عوائق فهمنا لأدوار هذه المدارس في جوانب متعددة هو نقص المعلومات بشأنها. وكنتأ نتمنى أن نجد في مصادر دراسة التراث الثقافي لعلماء البحرين إشارات تفصيلية وموسعة للتعرف على هذه المدارس واتجاهاتها، وبنيتها المادية، ونوع أنشطتها وأدوارها ووظائفها في إثراء التجربة الثقافية في البحرين خلال القرون الهجرية السابقة، ولكن للأسف أصبح قدرنا نحن الباحثين المتأخرين أن نرث هذا النقص ونلغقه دونما إرادة منّا، وأن يكون هذا النقص في معارفنا عن المدارس البحرانية العلمية بمثابة تحدٍ لنا في البحث عن تفاصيل معرفية وتجميعها وتقديمها

للقارئ الكريم، وأملنا أن نتمكن في خطوات مستقبلية متدرجة من جمع بعض البيانات وحصرها وتنظيمها وتقويمها عن هذه المدارس أو بعض منها حتى لو كانت قليلة لأن المعرفة في مطافها الأخير ذات طبيعة تراكمية، فهناك من الباحثين من سيتبع الخطوة بخطوة أخرى حتى يبلغ العمل المعرفي في هذا الموضوع مستواه المطلوب يوماً.

فثمة تساؤلات يطرحها الباحثون عن هذه المدارس، وتشمل هذه التساؤلات تاريخ تأسيسها، أماكنها أو مواقعها، أساليبها في التعليم والتربية ونقل المعرفة، ونوع العلاقات السائدة فيها بين المشاركين في العمليات التعليمية والأنشطة الثقافية، وكيفية إدارتها داخلياً، ونظام تمويلها المالي، وعلاقاتها مع بعضها، هذه الإشكاليات تمثل في واقع الأمر تحديات للباحثين لأنها تحتاج إلى إجابات موثقة منهم، ولا يكفي الصياغات النظرية القائمة على تكهنات أو توقعات جوفاء، فالتاريخ كما نفهم هو وقائع وأحداث متعاقبة ومعززة بالأدلة والأسانيد والوثائق، ومن هنا ندرك أن مدارسنا العلمية في البحرين خلال الفترة المذكورة هي حقائق تاريخية لا سبيل لنكرانها، ولكن لأنه لم نحصل على معلومات كثيرة بشأنها، فإن مهمتنا الثقافية كباحثين أصبحت صعبة بدرجة معينة، بيد أن متابعة البحث والتنقيب عن الحقائق كفيلة بكشف اللثام عنها حتى لو تعثرت في بداياتها، فالمعرفة كما قلنا تراكمية تضاف فيها المعرفة اللاحقة على المعرفة السابقة.

من نعني بهذه المدارس؟

يمكننا تحديد المراد بالمدارس العلمية بأحد معنيين:

المعنى الأول: كمبنى ومكان للتعلم في غرفة الدراسة

ونعني بذلك مجموعة المدارس التي أسسها وأنشأها وبنها عدد من علماء البحرين وأهلها الأطياب في مناطق متفرقة من البلاد خلال القرون الهجرية الأربعة.. إمّا في أماكن سكناهم الأصلية أو في مناطق انتقلوا إليها فيما بعد لمساعدة الطلبة على الدراسة والتعلم، وأسندت مهمة إدارة هذه المدارس إليهم، ويراد من المدرسة المقصودة هنا (كيانها وأثرها المادي) الذي ينحصر في مبانيها وصفوفها وغرفها وموقعها المكاني.

ومنها كما في مصادر دراسة التراث الثقافي لعلماء البحرين مدرسة العلامة السيد هاشم التوبلاني بكتكان (إحدى قرى توبلي)، ومدارس بوري والقدم والشيخ المقابي بجدهفص، ومدرسة الشيخ داوود في جزيرة النبي صالح، ومدرسة الشيخ محمد الفاراني بـ (فاران القديمة) وهي (القرية الحالية)، ومنها كذلك مدرسة الشيخ داوود بن شافيز في جدهفص، ومدرسة الحجر، ومدرسة الشيخ عبد الله بن الشيخ عباس الستري بمنطقة الخارجية من سترة، ومدارس أخرى في أماكن غيرها، وهذا ما نعينه بمبنى الحوزة الدينية أو المدرسة العلمية، وهو ما سهتم بدراسته في هذا المبحث.. أي دراسة المدرسة البحرانية كـ(مكان للعلم)، وباختصار فهذه الحوزات قد تكون «مصغرة» تعقد حلقاتها في بيوت، أو حلقات بمساجد أو مكبرة في مباني أوسع بمدارس ذات مباني مستقلة عن البيوت أو المساجد حتى وإن كانت ملاصقة بها أحياناً كمدرسة الشيخ حسين العلامة بن الشيخ محمد آل عصفور الدرازي البحراني، وهي لصيقة بمسجده

بقرية الشاخورة كما تذكر بعض المصادر التاريخية البحرانية^(١).

فهذا التحديد المادي هو إشارة لمكان المدرسة وموقعه الجغرافي الذي احتضن غرف الدراسة للعلوم الشرعية والعقلية، وتعلم الدارسون فيها بغض النظر عن اهتمامات علمائها بنوع معين من العلوم كالفقه أو التفسير القرآني، فمدرسة الشيخ عبد الله الستري البحراني يعتقد أنها مدرسة يسيطر عليها دراسة الفقه وتعلمه، وهو المنحى الآخر الذي اهتم به بعض الباحثين البحرينيين المعاصرين من دراسة عامة لمختلف الاتجاهات المعرفية أو المدارس الفكرية التي برزت في الثقافة البحرانية خلال التجربة التربوية والتعليمية الكبرى لعلماء البحرين في الفترة الواقعة من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر عند بعض الباحثين البحرينيين المعاصرين^(٢).

المعنى الثاني: كاتجاه فكري ومعرفي شائع بين العلماء

وهناك نوع آخر من المدارس السائدة والشائعة في التجربة التربوية والعلمية لدى علماء البحرين، وهو ما برز في الحركة العلمية البحرانية من مدارس فكرية أو ظهور اتجاهات معرفية قد تميزت بها هذه الحركة، وتجلت في اهتمامات العلماء ودراساتهم وأنشطتهم وتدريسهم وكتابتهم وتصانيف كتبهم ورسائلهم العلمية، فالمدرسة بمعناها هذا لا يركز على موقعها، ولا مبانيها، ولا نظام التعليم وطرق تمويله، وإنما تهتم باتجاهات معرفية وفكرية أصبحت ذائعة وشائعة بين العلماء

(١) التاجر، محمد علي بن أحمد، عقد اللآل في تاريخ أوال، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) الوداعي، عيسى السيد جواد، الحركة العلمية في البحرين من القرن السابع حتى نهاية القرن الثالث عشر، انظر الفصل الثاني من ص (٧١ - ١٩٠).

وبالبحثين والمحققين أنفسهم كاتجاهات معرفية متولدة من اهتمام العلماء بنوع العلوم التي يهتمون بها، وتتمثل في كتب ومصنفات ومحاضرات وأفكار مدونة وغيرها.

ويلحظ الإشارة إليها في تراجم عدد من علماء البحرين، والتأكيد على تميز علومهم باهتمامات معرفية بارزة، كالاهتمام بالعلوم الأدبية أو الفقه أو الروحانيات أو غيرها من الاتجاهات المعرفية، وهكذا فالمدرسة بالمعيار الأخير اتجاه معرفي سائد بين نخبة من العلماء، وشائع أثره في البيئة التربوية والعلمية بين علماء البحرين وغيرهم، وقد حظيت المدرسة البحرانية كاتجاه علمي ومعرفي- مثل سابقتها المدرسة كمكان تعلم- بشيء محدود من الجهد لدى الباحثين البحرينيين في السنوات الأخيرة، وقد برزت بعض المحاولات التأسيسية للتعرف على الأنماط الفكرية لهذه المدارس، وللاتجاهات المعرفية السائدة في الثقافة العربية والإسلامية لدى علماء البحرين.

وثمة دراسات محدودة لفهم الاتجاهات المعرفية، وقد حددت هذه الدراسات ما أسماه بـ «مدرسة التفسير القرآني» التي اهتمت بدراسة النص القرآني وتفسيره، بينما اتجه معرفي آخر اهتم بدراسة علم الحديث والعناية به، وجمعت مجموعة من العلماء والفقهاء واهتماماتهم ما أسمته هذه الدراسة بمدرسة الفقه، وكذلك برزت بين اهتمامات علماء البحرين ما يمكن تسميته بمدرسة الدعاء، والروحانيات عناية بالشئون والقضايا الأدبية كالشعر، وسميت مدرستهم (مدرسة العلوم الأدبية واللغوية)، بينما من شغل نفسه بعلوم الحكمة والجدل العقلي والمنطق نُسبوا لـ «مدرسة الحكمة والعلوم العقلية»، وهناك من عُرفوا بقضايا التاريخ والتراجم

والسير الذاتية، وهؤلاء تسميهم هذه الدراسات بـ«المدرسة التاريخية»، وهكذا ينظر لكل مدرسة بحسب اهتمامها بجانب معرفي أو ما يتصل به من علوم. ومن هذه المحاولات ما كتبه الشيخ محمد بن عيسى آل مكباس عن هذه الاتجاهات في بحث صغير بمجلة (ن، والقلم وما يسطرون)^(١)، ثم كتب الأستاذ سالم بن عبد الله النويدري مقالاً في المجلة الرمضانية^(٢) الصادرة عن جمعية أهلية في « قرية بوري» أشار فيه لمجموعة اتجاهات فكرية شائعة في التراث الثقافي والروحي لعلماء البحرين، وأشرنا في أحد فصول كتابنا (دراسات في تاريخ القرية البحرانية)^(٣) وبنحو مجمل عن اتجاهات الثقافة العربية الإسلامية.

وكذلك برز في كتاب مستقل وموسّع يبدو أنه خاص بالمدارس العلمية في البحرين وتاريخها، وتضمّن كتاب الدكتور السيد عيسى بن السيد جواد الوداعي عن «الحركة العلمية في البحرين»^(٤)، وركّز الباحث في الفصل الثاني من كتابه على مجموعة مدارس معرفية متعددة كمدارس «الفقه وأصوله، وعلوم القرآن وتفسيره، وعلوم الحديث، وعلوم الحكمة كالمنطق والجدل العقلي، والحركة اللغوية والأدبية في المدرسة البحرانية»، وكل هذا ثمرة ولادة طبيعية لقدرات العقل البحراني في مجالات معرفية تخطى فيها صعاب الزمن وتحدياته، ولكن ما يزال الأمل معقوداً

(١) آل مكباس، محمد بن عيسى، مقال: (القرآن وعلومه في تراث علماء البحرين، ص ٨ - ١٠، مجلة (ن والقلم وما يسطرون) البحرانية، العدد الأول، جمادى الأولى ١٤٢٧هـ، يونيو ٢٠٠٦م.

(٢) النويدري، سالم بن عبد الله، مقال: (تراث البحرين الفكري في العصور الإسلامية المتعاقبة)، المجلة الرمضانية، العدد العاشر، شهر رمضان سنة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

(٣) مدن، يوسف، دراسات في تاريخ القرية البحرانية، الفصل السابع (اتجاهات الثقافة الإسلامية في التراث الثقافي لعلماء البحرين).

(٤) الوداعي، عيسى السيد جواد، مصدر سابق، انظر الفصل الثاني من ص (٧١ - ١٩٠).

على جهود الباحثين البحرينيين لإثراء هذا المنحى المعرفي، وترسيخه في وعي الأجيال البحرانية الحاضرة، والكشف عن خزائن علماء البحرين الماضين، وكنوز العقل البحراني وإسهاماته الكبرى في العلوم الشرعية والأدبية والعقلية لإثبات ذاتيته وهويته الروحية والمعرفية والحضارية، وتجلى ذلك في شيوع لقب «بحراني» بين مراكز البحث ومنتديات العلم ومدارسه ودوائره المتعددة.

الأهداف الأساسية للمدارس العلمية في البحرين

لقد سخر علماء البحرين في فترة نهضتهم تجربتهم التعليمية لتحقيق أهدافهم فأنشأوا المدارس كأدوات إجرائية وتنفيذية من أجل تحقيق أهدافهم السامية، فالمدارس ليست إلا وسائل المربين في تنفيذ أنشطتهم من أجل تحقيق الأهداف المحددة التي يأملون الوصول إليها.

ومن هذه الأهداف ما يأتي:

- ١- خدمة الدين بما يحقق الأهداف الكبرى لمشروع علماء البحرين لإدارة الحياة وتوجيهها توجيهاً مستنيراً، ورغبة منهم في إرضاء المشرع التربوي الإسلامي.
- ٢- وإثبات القدرات التقدمية لعلماء الدين البحرينيين في الملاءمة بين متطلبات الدين ومتطلبات الذات وحاجات المجتمع البحراني آنذاك.
- ٣- تعلم المباني الأساسية للعلوم الشرعية والعقلية التي تقوم هذه المدارس بتدريسها في إدارة المجتمع وتوظيفها، واستخدامها كخبرات مربية تساعد على التنمية الروحية والثقافية والاجتماعية.
- ٤- إعداد الكوادر القادرة على إشباع الحاجات الحيوية للإنسان البحراني

(العالم - المتعلم) في آن واحد، وبخاصة في المجال التعليمي - التربوي.

٥- توظيف العلم وما ارتبط به من عمليات ثقافية في إحداث حراك اجتماعي صاعد وإيجابي في حياة الإنسان البحراني داخل بلده وخارجه نتيجة ارتباطه بالمدارس كمؤسسات علمية فاعلة.

٦- تشجيع العلماء وطلبة العلم على المساهمة في نسخ الكتب والرسائل، وإعداد المخطوطات لاستخدامها في عمليات التعليم بالمدارس العلمية المنتشرة في البلاد.

دراسة تاريخ المدارس العلمية بمنهجين عمودي وأفقي:

تمثل حالة «المدارس العلمية والحوارات الدينية» في البحرين ظاهرة ثقافية - تاريخية، ويمكن في نظرنا دراستها بمنهجين أحدهما عمودي والآخر أفقي، فالدراسة العمودية تسمح للباحثين أن يتحركوا في إطار تفاصيل رأسية ومعقدة عن كل مدرسة مع إمكانية ربطها في خطوة ثانية مع بعضها، وتبدأ الدراسة العمودية من لحظة التأسيس والنشأة التاريخية ثم متابعة مراحل تطورها التاريخي، مروراً بأنشطتها الثقافية، ونتائجها المعرفية.

وهذا أمر ممكن حين تتوافر للباحثين مادة معرفية واضحة وموجودة في مصادر دراسة التراث الثقافي لعلماء البحرين أو حين تتوافر المقدرة على البحث التاريخي الرأسي عند الباحث، والدراسة التفصيلية بالعلوم الشرعية والعقلية التي كانت تمثل مناهج دراسية لهذه المدارس، فالدراسة العمودية - الرأسية التي نقصدها تتطلب تفاصيل دقيقة وموثقة - ما أمكن - عن كل مدرسة بحرانية على

حدة، والإحاطة بداخلها من حيث معرفتنا بتاريخ نشأتها، ومناهجها، وطرائق التدريس السائدة، والعلاقات القائمة فيها بين المعلمين وطلبتها، ونظام تمويلها المالي، وأساليب إجازاتها العلمية، بالإضافة إلى قدرة الباحث على الربط بين النظام العام لهذه المدارس.

وطالما أننا لا نجد في أنفسنا كفاءة الباحثين في التعامل مع هذه العلوم التي يتم تدريسها في المدارس العلمية التي أنشأها العلماء على امتداد قرون هجرية أربعة، فالأرجح بالنسبة إلينا الاستفادة من المنهج الأفقي في دراسة المدارس العلمية في البحرين في الفترة المذكورة، لأن الباحث بهذا المنهج يحرك ثقافته وعلمه وفكره في اتجاه أفقي عريض يمتد إلى كل المدارس من شمال البحرين إلى جهاتها الغربية والشرقية والوسطى بحثاً عن المدارس العلمية التي أنشأها علماء البحرين في عدد من القرى البحرانية سواء اندثرت أو ما تزال عامرة بأهلها حتى اليوم، فالمنهج الأفقي لا يحتاج منا لكل التفاصيل التي هي من متطلبات الدراسات العمودية، بل يمكن فقط في المنهج الأفقي ربط الأفكار المجملّة ببعضها عن المدارس العلمية في البحرين.

وقد غلب الاتجاه المنهجي الأفقي على بعض الكتابات القليلة عن المدارس العلمية للاعتبارات التي يتطلبها المنهج الرأسي، حيث يكتفي بعض المؤرخين بالإشارات العابرة أو بإشارات لبضع أسطر عن كل مدرسة علمية بنحو تذكّر فيها هذه المدارس العلمية المنتشرة في أرجاء البحرين منذ القرن (١٠ - ١٣) بإيجاز شديد وبمعلومات مبسّرة وغير كافية، ومن هنا فالمنهج الأفقي - في نظرنا هو الآن المنهج الأنسب مؤقتاً، وفي هذه الظروف، لأننا نعاني فقراً معرفياً مفصلاً، وكل آمالنا أن نشهد دراسات تحليلية بالمنهج الرأسي - العمودي الذي يدخل

في تفاصيل دقيقة وموثقة عن كل مدرسة علمية من مدارسنا المنتشرة آنذاك في البحرين الجزيرة، وأن يتم كذلك إعداد دراسات بالطريقة الأفقية.

النشأة التاريخية للمدارس:

كان تحديد هذه المسألة والإجابة عليها أول الصعاب التي واجهتنا في رصد الوجود التاريخي للمدارس العلمية البحرانية في القرون الأربعة الهجرية المتأخرة الواقعة ما بين (١٠ - ١٣)، حيث لم نجد في قراءتنا لمصادر دراسة التراث الثقافي تحديداً تاريخياً لنشأة مدرسة معينة من المدارس العلمية الشائعة في البحرين كمدرسة السيد هاشم التوبلاني، ومدرستي الشيخ داود الجزيري، والشيخ حسين العصفور وغيرها خلال نهضتها الثقافية بالقرون الهجرية الأربعة المتأخرة المشار إليها سابقاً، فكل ما نعرفه عن هذه المدارس لا يتجاوز في حده الأقصى معلومات قليلة، وقد أضاع هذا الفقر المعرفي معرفتنا بنشأتها وبتفاصيل عن نشاطاتها وبنيتها الداخلية.

ولكن البحرين في عصورها الذهبية - كما قال النويدري - كانت «مزهرة بالمدارس العلمية التي خرجت فطاحل العلماء وأنجبت العديد من الفقهاء الذين مازالت تفخر بهم المنطقة قاطبة، بل عالم الإيمان أجمع كابن ميثم، وابن سعادة، والماحوزي، والعصفور، والستري... وكانت المدارس منتشرة في أغلب قرى البحرين كأبي صبيح، والشاخورة، والقدم، والدراز، والماحوز، وبوري، والبلاد القديم، وسترة، وجد حفص، غيرها من البلاد»^(١).

(١) النويدري، سالم بن عبد الله، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرناً، المجلد الأول ص ١٣٦.

ولحسن الحظ قد تعددت المدارس العلمية التي يديرها علماء الإمامية في البحرين خلال القرون الهجرية الأربعة المشار إليها، وارتبط تاريخ نشأة كل مدرسة خاصة بالعالم الذي تنسب إليه أو الذي يديرها أو بالمكان الذي توجد فيه، فالمدرسة تتقدم في نشأتها الزمانية والتاريخية عن نشأة مدرسة أخرى بتقدم عالم الدين في وجوده على عالم آخر يدير المدرسة الثانية، فمدرسة السيد هاشم في توبلي هي أقدم زمناً من زمن قيام مدرسة الشيخ حسين العصفور المشهور بالعلامة بين أبناء المجتمع البحراني حتى اليوم، وتقع مدرسته في قرية الشاخورة لصيقة بمسجده في الموقع ذاته لأن الشيخ حسين آل عصفور عالم متأخر عنه في وجوده، ومعنى ذلك أننا ندرك نشأة مدرسة السيد هاشم التوبلاني البحراني في قرن محدد هو الحادي عشر الهجري، ويسبق الزمن الذي نشأت فيه المدرستان اللتان أنشأهما الشيخ داوود بن حسن الجزيري والشيخ حسين العلامة في جزيرة أكل (النبه صالح) والشاخورة، أما البدايات التاريخية الدقيقة للنشأة التاريخية لكل واحدة منها، وإعطاء تفاصيل أخرى فلم نجد حتى الآن في مصادر دراسة التراث الثقافي لعلماء البحرين أية بيانات تفصيلية.

النشأة الأولى للمدارس العلمية في القرى البحرانية :

مما يلحظ أن القرى البحرانية هي المهد الاجتماعي والمحضن المكاني الذي نشأت فيه المدارس العلمية التي أنشأها علماء الإمامية في البحرين، فكل المدارس بلا استثناء كانت نشأتها التاريخية الأولى في قرى البلاد سواء كانت عامرة في زماننا اليوم أو أصبحت مندثرة، وإذا تصفحنا مصادر دراسة التراث الثقافي لعلماء الإمامية في البحرين فإن هذه المدارس توجد في القرى البحرانية سواء سميت

بأسماء العلماء أو سميت بأسماء القرى نفسها التي توجد فيها، فمدرسة في قرية «بوري»^(١)، ومدرسة أخرى في قرية القدم^(٢) البحرانية، ومدرسة ثالثة باسم مدرسة الشيخ المقابي في منطقة جد حفص^(٣)، ومدرسة العلامة السيد هاشم التوبلاني في قرية توبلي، وقد عرفت باسمه، ومدرسة الشيخ داوود الجزيري بجزيرة أكل (النبي صالح)^(٤)، ومدرسة الشيخ عبد الله بن الشيخ عباس الستري التغلبي البحراني، نشأت في الخارجية بستر، وهي قرية قديمة فيها، وهناك مدرسة الشيخ داوود بن شافيز في قرية جد حفص أو قرية المصلى تعرف كذلك باسمه، وكذلك مدرسة الشيخ حسين بن محمد بن أحمد بن ابراهيم العصفور المعروف بـ «العلامة» وجدت منذ نشأتها التاريخية في قرية الشاخورة، وربما - ما تزال آثارها، وثمة آثار مدارس أخرى - قائمة لم تدرس بعد، وذكر الشيخ إبراهيم المبارك بعضها في كتابه (حاضر البحرين).

أما مدرسة الشيخ داوود بن حسن الجزيري فقد أقامها هذا العالم الجليل في موطنه الأصلي بجزيرة أكل أو (النبي صالح) بمسماها الجديد كما نعرفه اليوم، وكذلك نشأت مدرسة توبلي بإدارة السيد هاشم التوبلاني، وبقيت معروفة بهذا الاسم، وأيضاً عرفت مدرسة سبب باسم هذه القرية المندثرة، ثم مدرسة الشيخ محمد الفاراني في قرية (فاران) التي اندثرت، ومدرسة الشيخ عبد الله السماهيجي في أبي صبيع، ثم تدريسه في مدرسة قرية بوري كما في إجازته الكبيرة للجارودي القطيفي، ومدرسة الشيخ علي بن سليمان القدي في قريته القدم، ومدرسة

(١) السماهيجي، عبد الله بن صالح، الإجازة الكبيرة، ص ٥٠.

(٢) السماهيجي، عبد الله بن صالح، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٣) السماهيجي، عبد الله بن صالح، مصدر سابق، ص ١١١.

(٤) السماهيجي، عبد الله بن صالح، مصدر سابق، ص ٢٣٣.

كرزكان الموجودة الآن في القرية ذاتها بالقرب من مسجد القدم، وخلاصة القول أنها جميعاً مدارس نشأت في ظرف تاريخي محدد داخل القرى البحرانية الأصيلة واستوطنتها منذ أيامها الأولى، وهذه إحدى حقائق الأصالة التاريخية والحضارية للقرية البحرانية.

المدارس ملاصقة للمساجد التي يصلي فيها العلماء:

ويشير المؤرخ المرحوم العلامة الشيخ محمد علي التاجر البحراني إلى التجاور المكاني بين بعض هذه المدارس ودور العبادة، وبخاصة المساجد، وتبدو حالة الملاصقة بين المدارس والمساجد التي يصلي فيها علماء البحرين واضحة في وجود هذه المدارس.

ويقول الشيخ التاجر عليه رحمة ربه في مدخل فصل من كتابه «عقد اللآل».. وعنوانه «في معارف البحرين»: «كانت البحرين في القرون الوسطى^(١) ذات معارف عالية، وسوق العلم فيها رائجة، وفطاحل العلماء وجدوا فيها بكثرة متناهية، فلا تكاد تخلو بلدة أو قرية من وجود عدة منهم فيها، ولكل واحد منهم مدرسة ملاصقة للمسجد الذي يصلي فيه يلقي فيها الدروس والأبحاث على تلاميذه، وقد تخرج من هذه المدارس الجُسمُ الغفير من العلماء الفضلاء الذين سارت بذكرهم الركبان، وكان يقصدها الطلاب من أقاصي البلدان، وكانت تدعى بدار العلم كما دعت بعد ذلك، ولكن استحوذ الشقاء بعد ذلك على بلاد البحرين، وتلت قرون الأمن والأمان قرون الغزو والسلب والظلم والإرهاق فطاردت العلم والعلماء، وأخذت

(١) كانت القرون الوسطى فترة مظلمة في الغرب (وبالذات أوروبا)، لكنها كانت فترة إشعاع حضاري في العالم الإسلامي.

منهم الديار وشتتهم في الأمصار إلى مثل فارس والهند والعراق، وبقيت مواضع العلم ومدارس التدريس تندب قاطنيها لوحشتها بعدهم، فعلاها غبار الخمول، وكرّ شمسها بالأفول إلى أن استحالت إلى أطلال دوارس»^(١).

ومثال ذلك مدرسة الشيخ حسين العلامة صاحب السداد، فمدرسته ملاصقة لمسجده الذي يصلي فيه بقرية الشاخورة، ومدرسة الشيخ عبد الله بن الشيخ عباس الستري صاحب معتمد السائل قريبة من مسجده، ومدرسة الشيخ داوود ليست بعيدة عن مسجد النبي صالح بالجزيرة التي تحمل الاسم ذاته، وفي فاران ليست مدرسة الشيخ محمد الفاراني مفصولة عن بيته، فهي بالقرب منه، وسرى هذا التقليد على علماء متأخرين في عصرنا، ومن ذلك المدرسة المنصورية التي هي بالقرب من بيت الشيخ منصور بن الشيخ محمد بن سلمان الستري في واديان بجزيرة سترة، وكذلك مدرسة الشيخ عبد الحسن آل طفل بمنطقة جدحفص، وغيرها.

معايير تحديد الأسماء الشائعة للمدارس^(٢) :

تعتبر بعض كتب التراجم إحدى أهم مصادر دراسة تراث علمائنا الثقافي في القرون الهجرية الأربعة وما قبلها، فهذه المصادر ذكرت بالإشارة المباشرة أسماء عدد من المدارس التي أنشأها العلماء البحرانيون في مناطق مختلفة من بلادهم،

(١) التاجر، محمد علي بن أحمد، عقد اللآل في تاريخ أوال، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) من المصادر البحرانية المعاصرة التي ذكرت أسماء بعض المدارس العلمية المتداولة في البحرين كتاب (حاضر البحرين) للعلامة الشيخ إبراهيم بن الشيخ ناصر المبارك الهجيرى التولباني البحراني، فقد عقد في آخر كتابه باباً ذكر فيه بعض المدارس العلمية بأسمائها، انظر ص ٩٣ من كتابه المزبور.

وثمة معايير تحديد الأسماء للمدارس الشائعة في البحرين، ومنها معايير:

المكان.

الزمان.

اسم العالم.

الموضوع أو الاتجاه الفكري للمدرسة.

أ. أسماء مدارس بحسب المكان

من أسماء المدارس المعروفة تحت هذا المعيار، ما اشتهر في تاريخ البحرين الثقافي من أسماء مدارس علمية وحوزات دينية كانت تسمى بأسماء القرى التي تقع فيها، وتوجد في مصادر هذا التراث أسماء عديدة، ومنها منها على سبيل المثال مدرسة جزيرة النبي صالح، ومدرسة قرية بوري، ومدرسة القدم^(١)، ومدرسة أبو صبيح، ومدرسة العالم الجليل الشيخ داوود بن شافيز في قرية جدحفص^(٢)، ومدرسته هو المسجد المسمى بمدرسة الشيخ داوود الشائع على ألسنة عوام عصرنا هذا بمدرسة العريبي^(٣)، ومدرسة قرية كرزكان ومدرسة الغريفة ومدرسة سماهيج ومدرسة المشهد ذي المنارتين^(٤) بالبلاد القديم، ومدرسة الحجر، وغيرها

(١) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين ص ١٢٤، والنويدري، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، ج ٢ ص ٤١٦.

(٢) البلادي، مقدمة كتاب (أنوار البدرين)، مصدر سابق، وكذلك ص ٨١ عند حديث المؤلف الشيخ علي البلادي عن مدرسة الشيخ داوود بن شافيز الذي دفن بجوار مدرسته العلمية في جدحفص، انظر أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، للنويدري، مجلد ١ ص ٤٣.

(٣) النويدري، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، ج ١ ص ٨١، ٤٧٧.

(٤) النهاني، محمد بن خليفة، التحفة النبهاية في تاريخ الجزيرة العربية، ص ٣٣.

من المدارس المعروفة بأسماء عدد من القرى البحرانية آنذاك، وجميعها تشير لمعيار مكاني هو وجودها في أراضٍ من قرى بحرانية متفرقة في جزر عدّة.

٢. مدارس بأسماء العلماء

ومنها مدرسة الشيخ علي بن سليمان القديمي في قرية القدم، ومدرسة الشيخ داوود بن حسن الجزيري في جزيرة النبي صالح التي هدمها العثمانيون ظلماً وعدواناً وسفكوا دماء العلماء وطلبة العلم، وكذلك مدرسة السيد هاشم التوبلاني في كتّكان من توبلي، ومدرسة العلامة الشيخ حسين العصفور في الشاخورة التي استهدفها الغزاة العثمانيون بالتدمير والحرق وإتلاف كتبها، ومدرسة الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الله الستري البحراني في قرية الخارجية بجزيرة سترة ومدرسة الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني في قرية مندثرة هي «الدونج».. إحدى القرى الثلاث التي تكونت منها بلدة الماحوز التاريخية.

٣. ومدارس بأسماء الأيام

أي أنها تفتح أبوابها للتعليم بحسب أيام محددة من الأسبوع، ومن ذلك مدرسة يوم الاثنين كما قال الشيخ القديمي، حيث قال الشيخ علي بن حسين القديمي البلادي حفيد صاحب الأنوار في هذا الشأن ما لفظه: «ومن آثار البحرين الخاصة لها أن فيها مدارس بحسب الأيام فمنها مدرسة الاثنين». وهي في البلاد العامرة في ذلك الزمان تسمى (جدحفص) التي خرجت فحول العلماء^(١).

(١) البلادي، أنوار البدرين (مقدمة الكتاب) بقلم (أ - علي بن حسين القديمي البلادي).

٤. ومدارس فكرية بحسب غلبة الاتجاه المعرفي

وهو منهج معرفي شائع، وبارز بين علماء اتجاه معين كالقول بالمدرسة القرآنية أو المدرسة التاريخية أو المدرسة العقلية، ومدرسة الفقه والعلوم الأدبية، ومدرسة الدعاء والاتجاه الروحي، وهكذا، وهذا النوع من التسمية غير مستخدمة في الإطلاق على مدارس معينة ومبانيها، ولكن يظهر من بروز اتجاه عام في حركة علماء مدرسة بعينها أو بين علماء أكثر من مدرسة، فمدرسة السيد هاشم مدرسة قرآنية لاهتمام السيد بالتفسير القرآني وعلم الحديث، أو يمكن تسميتها مدرسة أخرى لعالم آخر بمدرسة الحديث كمدرسة الشيخ علي بن سليمان القلمي البحراني لاهتمامه بعلم الحديث، وأيضاً مدرسة باسم الأدباء أمثال الشاعر الأديب الشيخ جعفر أبي الحر الخطي وغيره من الشعراء ومدرسة الاتجاه العقلي ومن أشهر علمائها الشيخ داوود بن شافيز والشيخ عبد الله بن علي بن أحمد البلادي البحراني، كما أن كتب التراجم تظهر الميول العلمية الأبرز لهذا العالم أو ذاك صوب نوع من المعرفة، وتحديد قربه من هذا الاتجاه الفكري أو المدرسة التي ينتمي إليها.

عوامل نشأة المدارس العلمية :

تعتبر المدارس العلمية في التجربة الثقافية للبحرين - كما تقدمت الإشارة - مؤسسة تربوية حيوية، وهي إحدى أدوات التعليم الذي عرفت به البحرين في القرون الهجرية الأربعة المشار إليها، وما قبلها كذلك حتى عاشت البحرين نهضة ثقافية - تربوية، وأصبح لقب «البحراني» شائعاً في المراكز العلمية داخل البلاد وخارجها للإشارة إلى علماء البحرين الذين ذاع صيتهم في المحافل الثقافية

والعلمية، ومن المؤكد أن وراء نشوء هذه المؤسسات عوامل عديدة جعلها قوةً جوهرية في النهضة التربوية والثقافية والروحية للبحرين وانعكاساتها على مجتمعتها.

ويمكننا الإشارة إلى بعض العوامل التي أسهمت في قيام هذه المدارس، وسنحاول الإشارة إليها بإيجاز، وبمنظرة اجتهادية مستخلصة من قراءة ذاتية لبعض مصادر دراسة التراث الثقافي لعلماء البحرين في تلك الفترة، وهذه العوامل هي كما يأتي:

- ١- نعتقد بأن نشأة المدارس العلمية وقيامها يؤسس دائماً على حاجة كل منطقة أو قرية من البحرين والمناطق القريبة لحاجتها في العلم والتعليم، وإدراك بعض العلماء لأهمية تأسيس مدرسة علمية تلبية لإشباع هذه الحاجة.
- ٢- والعامل الآخر المؤثر بإيجابية في ظهور هذه المدارس هو حرص العلماء وإصرارهم على تربية الناس على حب المعرفة والعلم بأحكام الدين وإدراكهم لدورها في تحقيق الأهداف التربوية التي يتوخاها المشرع التربوي الإسلامي.
- ٣- نجاح المدارس العلمية كمؤسسات تربوية وفي فترات تاريخية سابقة للتجربة التربوية البحرانية في تحقيق نتائج إيجابية في المجتمعات الإنسانية خارج البحرين، ورغبة علماء البحرين في الاستفادة من تأثيراتها على المجتمع البحراني.
- ٤- أن المدارس هي جزء من الهيكل الإداري للنظام التعليمي السائد في بلادنا البحرين وفي خارجها، وبالتالي فهي في نظر المؤسسة الدينية البحرانية ضرورة تربوية واجتماعية وأخلاقية لإدارة العمل التعليمي والتربوي وتوجيه الحياة توجيهاً مستنيراً.

مصادر معرفتنا بالمدارس العلمية في البحرين:

كان علماءنا رحمهم الله أجمعين في بلادنا البحرين خلال الفترة المنصرمة يكتبون بين وقت وآخر إشارات لوجود مدارس علمية احتضنت التجربة الثقافية والعلمية في البحرين في الفترة المذكورة، ثم استمر المتأخرون منهم في تكريس معرفتنا كباحثين بهذه المدارس، وغدت هذه الإشارات غير التفصيلية بعدئذ إحدى أهم المصادر الهامة لنا نحن الباحثون في هذا الزمان لمعرفة القليل عنها، ولكن مع ذلك ما نزال نتحسس فقرنا المعرفي لها، وقد دفعنا هذا النقص في المعلومات لمزيد من التحري والتقصي، حتى تتزايد تدريجياً الأبحاث التاريخية، وحتى يأتي يوم تكون فيه الدراسات عنها موجودة بوفرة، وتكون ثقافة الأجيال بمستوى جيد عنها.

وسنشير لمصادر معرفتنا بها كما يأتي:

كتب التراجم

تُعدُّ هذه الكتب أهم مصدر تاريخي نتعرف به على تراث علمائنا الثقافي في البحرين التي عرفت بكثرة المدارس^(١)، فالمدارس التي نشأت في تاريخنا الثقافي والروحي أحد معالم هذا التراث، وقد وردت إشارات من أرباب وعلماء التراجم عن الحوزات والمدارس ومراكز التدريس بأسماء القرى والأيام والعلماء أنفسهم، وسنقدم مجرد أمثلة من كتب التراجم لبيان هذه الحقيقة، ونأمل أن نتوسع لاحقاً في البحث عن هذه الإشارات والحصول على مزيد من التفصيلات.

(١) البلادي، علي بن حسن، مصدر سابق، ص ٤٩.

فالشيخ علي البلادي في أنواره يقول: «ورأيت في هذه الجزيرة.. يقصد النبي صالح.. مدرسة كبيرة خراباً تسمى مدرسة الشيخ داوود»^(١) وقد شهدت حادثة دموية بشعة، وقتل فيها عدد كبير من العلماء وطلبة العلم تراوحوا بين السبعين والأربعين، وتم تدمير مبناها، وتمزيق مخطوطاتها، ويقول البلادي كذلك في ترجمة الشيخ داوود الجزيري: «والظاهر أنه هو الجزيري، والمدرسة التي ذكرها له هي الآن خراب ويسمونها أهل تلك الجزيرة كربلاء لأنه قتل فيها في بعض الوقائع التي صدرت على البحرين أربعون أو سبعون عالماً ومتعلماً، فسميت لذلك كربلاء مع أن تلك الجزيرة المذكورة في غاية الصدود والإخفاء عن المستطرقين من الأعراب والأجانب لأنها جزيرة لا يتوصل إليها إلا بالسفن»^(٢).

ويقول أيضاً في مقطع لفظي آخر: «وقد كتب.. الشيخ داوود الجزيري.. كتب كثيرة بخطه وبخط غيره تقرب من أربعمئة كتاب في المدرسة التي بناها في بيته»^(٣). وذكر الشيخ عبد الله بن جمعة السامهيجي البحراني في كتابه «الإجازة»: لتلميذه الشيخ ناصر عدداً من المدارس العلمية مثل «بوري والقدم»^(٤)، ومنطقة جدحفص^(٥)، وجزيرة النبي صالح^(٦)، وبعده الشيخ علي بن حسن البلادي وحفيده الشيخ علي بن حسين القديحي أسماء مدارس أخرى، وعلماء تراجم

(١) البلادي، علي بن حسن، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٢) البلادي، علي بن حسن، مصدر سابق ص ١٨٦.

(٣) البلادي، علي بن حسن، مصدر سابق ص ١٨٦.

(٤) السامهيجي، عبد الله بن صالح، الإجازة الكبيرة للشيخ ناصر بن محمد الجارودي (مصدر سابق)،

ص ٥٠.

(٥) السامهيجي، عبد الله بن صالح، مصدر سابق، ص ١١١.

(٦) السامهيجي، عبد الله بن صالح، مصدر سابق، ص ٢٣٣.

بحرانيون متأخرون، وقال عليه الرحمة في ترجمة الشيخ ناصر بن محمد الجارودي تلميذ الشيخ عبد الله السامهيجي عن الجارودي: «اختص بتلميذه العالم المحدث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح البحراني ولازمه مدة مديدة حتى بلغ مبلغاً عظيماً في العلوم، وقرأ عنده كتباً كثيرة في مدرستي بوري والقدم من (قرى البحرين)^(١)» ومدرسة باسم يوم الاثنين كما جاء في مقدمة كتاب أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين.

٢. الكتب التاريخية

واهتم مؤرخو الحركة العلمية البحرانية بذكر بعض المدارس العلمية التي أسسها علماء البحرين في فترات نهضتهم فأشاروا إليها بين حين وآخر، ومن هؤلاء العالم الجليل الشيخ محمد علي التاجر البحراني صاحب كتابي (عقد اللآل في تاريخ أوال، ومنتظم الدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين)، وقد نقلنا نصاً من هذا المصدر^(٢) يوضح التجاور بين المدارس والمساجد.

وأيضاً ما كتبه الشيخ إبراهيم المبارك الهجيرى التوبلاني في كتابه (حاضر البحرين)^(٣)، حيث عقد عليه الرحمة والرضوان باباً مستقلاً في آخر كتابه هذا عن المدارس العلمية في البحرين وأشار إلى بعض أسمائها وأماكن وجودها، وقدم لنا بعض مشاهداته كما رآها بنفسه، كما أشار الشيخ محمد بن خليفة النبھاني لمدرسة "المشهد ذي المنارتين «في البلاد القديم»^(٤).

(١) البلادي، علي بن حسن، (مصدر السابق)، ص ٢٩٧.

(٢) التاجر، محمد علي بن أحمد، عقد اللآل في تاريخ أوال (مصدر سابق)، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) التوبلاني البحراني، إبراهيم المبارك، حاضر البحرين، ص ٩٣.

(٤) النبھاني، محمد بن خليفة، مصدر سابق، ص ٣١ - ٣٣.

٣. أقوال الثقافة من المعمرين وكبار السن لأهالي البحرين

كثيراً ما يلجأ المتأخرون من الباحثين وغيرهم إلى كبار السن والمعمرين للتعرف على بعض معالم الماضي وملاحمه، وقد عرفنا بعض الأفكار عن طريقهم ليس عن المدارس العلمية وحدها، بل عن أسماء العلماء وبعض مخطوطاتهم والأدوار التي قاموا بها، وعن بعض المساجد التي اتخذوها كمدارس للتعليم أو حوزات دينية للتدريس، ومع أن أخبارهم هي أخبار عوام إلا أنها أحياناً مفتاح للبحث عن تفاصيل نحتاج معرفتها من مصادر موثقة، وهكذا بالنسبة لموضوع بحثنا عرفنا من المعمرين قليلاً ولكنه كان مفتاحنا لكتابة تفاصيل لهذا البحث.

٤. الآثار المادية - التاريخية لبعض المدارس

تركت هذه المدارس بمختلف اتجاهاتها المعرفية آثاراً استدل المؤرخون على وجودها، فالشيخ البلادي قال إنه رأى مدرسة الشيخ داوود في جزيرة النبي صالح، وهي الآن خراب، أما الشيخ محمد بن خليفة النبهاني فأشار في تفصيل قصير لآثار مدرسة كانت بجانب مسجد المشهد ذي المنارتين فقال عليه الرحمة ما لفظه: «توجد مدرسة في مسجد المشهد ذي المنارتين المسمى بمسجد الخميس». وأشار لهذه المدرسة الشيخ النبهاني وهو يتحدث عن الآثار والأماكن الماثورة بقرى البحرين، فقال الشيخ النبهاني عن المدرسة بالمشهد المذكور: «يوجد غربي المنامة من جهة الجنوب على مسافة نصف ساعة منها موضع يسمى سوق الخميس يجتمع فيه أهل البلدة في كل خميس للبيع والشراء حتى اليوم^(١)، وعنده عين نباعة

(١) توقف تسوق الناس ببالغ الأسف في هذا المكان، ولم يعد هناك في أيامنا سوقاً تعرف بـ«سوق الخميس» في المكان نفسه، وقد يستخدم الناس التسمية للإشارة إلى تسوقهم في مكان آخر من البلاد.

كالزلال تسمى (أبو زيدان)، ومبني على نصف ظهرها مسجد صغير للصلاة، وشماله على مسافة نحو (١٠٠) ذراع آثار جدرانها وبعض أسطوانات مدورة منحوتة من صخور عظام ومكتوب على الجدران (نقرأ في الحجارة بخط كوفي)، وعندها منارتان متقابلتان شرقاً وغرباً طول كل واحدة منهما نحو (٧٠) ذراعاً، وتسمى هذه الأطلال المشهد فوصلته وصعدت المنارة الغربية، وكتبت اسمي نحتاً في أعلى حجر في داخلها، ووجدت عدد درجها إلى الدائر الثاني مائة درجة، وعلى باب المنارة الغربية حجر مكتوب بالخط الكوفي، ولكن عسر عليّ قراءته لأن المدرسة المتهدمة ردمت باب المنارة حتى دفن معظمه فصار الحجر عند الأرض، وجعل الصبيان يلعبون فيه بالدق حتى تثلمت غالب الكلمات فعسر علينا قراءتها، ولم يكن معي في ذلك الوقت آلة الرسم (المخيلة) لآخذ رسمه وأتفحص بعد ذلك في كتابته»^(١).

الهيكل التنظيمي للعاملين ونظام عملهم بالمدرسة :

يشكل الوجود المادي كالمباني، والوجود البشري من عاملين وطلبة أحد مقومات الحوزة العلمية وتاريخها في البحرين، ومع ذلك لم تحظ بدراسات جدية، كما لم نستطع العثور على مصادر تهتم بالتراث الثقافي والروحي لعلماء البحرين تنطوي على إشارات تفيد في التعرف على الهيكل التنظيمي للمدارس العلمية التي أسسها علماءنا في عدد من مناطق البحرين وقراها خلال فترات نهضتهم في القرون الأربعة الهجرية من العاشر حتى الثالث عشر وما قبلها، فالهيكل التنظيمي ليس واضحاً بدرجة كافية مع وجوده التاريخي في بنية المدرسة ونشاطها اليومي،

(١) النبهاني، مصدر سابق، ص ٣٢ - ٣٣.

حيث لم تكن هناك مصادر سابقة وضعت هيكلًا تنظيميًا للعاملين في الحوزات العلمية (أو المدرسة الفقهية) البحرانية من إداريين ومعلمين ينتمون للعلماء، ونقص وجود مصنف تاريخي منفرد ومستقل وخاص بالهيكل التنظيمي العامل بالحوزة أو المدرسة العلمية.

ومن المؤكد أن ثمة سمات للمدرسة العلمية البحرانية ساعدتنا - باجتهادنا الشخصي - على معرفة بعض الجوانب في تحديد الهيكل التنظيمي للعاملين في حوزات ومدارس البحرين الدينية أو الفقهية خلال الفترة المذكورة، وبالرغم من ذلك فثمة وضوح بدرجة كبيرة بالنسبة لهيكل الأطراف والجهات العاملة في كل مدرسة فقهية بحرانية أو علمية على حدة، وقد استنبطنا بعض مقومات هذا الهيكل من قراءتنا لعدد من كتب التراجم كما ذكرنا، ونعتقد أن من مكونات هذا الهيكل قيام كل مدرسة على حدة بإدارة عملها اليومي بما يفيد باستقلال المدارس عن بعضها حتى لو كان هناك أحياناً نوع من التعاون بينها.

ويستكمل الهيكل التنظيمي للحوزات الفقهية والمدارس العلمية البحرانية مبناه العملي بوجود:

* نظام داخلي معين ومألوف ينظم العلاقات الداخلية بين أفراد المدرسة من علماء وطلبة علم وممولين لنشاطها.

* ويهتم كذلك بطريقة تمويل العمل والعاملين ومصادر الإنفاق وكيفية النشاط اليومي للمدرسة، وكيفية إعطاء العلماء والطلبة رواتبهم، ويحدد كيفية اختيار المعلمين بمستوياتهم المختلفة، والوقت الذي يتم فيه التدريس وتحديد أوقاته وساعاته.

* وأيضاً اختيار نوع المواد الدراسية التي يتم تدريسها في المدرسة سواء «بالمسجد أو في مكان آخر» سواء كانت هذه المواد شرعية أو عقلية أو أدبية ولغوية.

* ويدخل في إطار الهيكل التنظيمي ضبط العلاقات الداخلية بين العلماء والمتعلمين داخل كل مدرسة على حدة، وطريقة التعامل والتعاون مع المدارس العلمية المنتشرة في البحرين، وتكليف جهات محددة من المدرسة بالاتصال بمندوبي مدارس أخرى حتى لو كانت بطيئة، وهذا يخضع لظروف آنية.

مكونات المجتمع الحوزوي (أو المدرسي) :

ونلاحظ من متابعتنا لانفراد كل مدرسة بأنه على رأس هيكلها التنظيمي:

* فقيه أو أكثر بينهم وحدة فكرية، بحيث تُدار المدرسة برئاسة هذا الفقيه أو ذاك المرجع الديني، والفقيه - وهو على رأس العمل في المدرسة - يعبر عن سمة بارزة في الهيكل التنظيمي لعمل المدرسة أو الحوزة الشيعية البحرانية.

وهناك في التاريخ التربوي والثقافي للحوزات والمدارس الفقهية جهات بشرية تشكل جزءاً مهماً من الوجود البشري العامل فيها، وهي:

* ثم يعاونه في إدارة المدرسة بعض العلماء أو الفقهاء المؤمنين، وهم المعلمون بالمدرسة، كل بطريقته التعليمية في عمله بالحوزة أو المدرسة.

* وفي الاتجاه الفكري المقابل هناك في الحوزة أو المدرسة طلبة دارسون، يتلقون المعارف السائدة في بيئات التعليم آنذاك.

وهكذا هناك في الظاهر أطراف ثلاثة تمثل الجانب البشري للمدرسة وأبرز مكونات وجودها، وتتفاوت هذه الأطراف في أدوارها بنحو بارز، وتشكل هذه

الأطراف حركة اجتماعية تؤسس على أرضها أنشطة، وعلاقات بشرية بين هذه المكونات كما قلنا، وقد تصورنا هذا الهيكل ذهنياً لمكونات المجتمع الحوزوي أو «المدرسة العلمية» التي يديرها علماء البحرين الشيعة من كتابات تاريخية متفرقة، وشائعة في كتب التراجم ومصادر دراسة التراث الثقافي البحراني، وهو تصور تقريبي بسيط يلامس واقع الحال في التجربة التعليمية عند علماء الشيعة الإمامية، فهذه المدارس تتحدث عن شيوخ، مشايخ، أساتذة، علماء دين، وفقهاء يمارسون مهام أساسية في التعليم، وإلى جانبهم كذلك في التجربة التعليمية، طلبة علم، ودارسون بمستويات علمية مختلفة، وأحياناً بينهم أطراف فاعلة قد يكون وجودها مؤقتاً كالمُتبرعين بأوقاف، وأموال للمدرسة.

وهذه المكونات هي كما يأتي:

المكوّن الأول: الفقيه المؤسس

وهو عادة مؤسس المدرسة، ويرأس الفقيه (كمراجع ديني وعلمي) أعلى سلطة في الهيكل التنظيمي العامل بالمدرسة سواء كانت منسوبة في اسمها إليه أو إلى مكان عملها، ويقوم هذا الفقيه بوظيفة إدارية وتعليمية معاً كإدارة عمل المدرسة كمؤسسة تعليمية، والمشاركة في اختيار العلماء المعلمين الذين يقومون بالتدريس، وتقويم الطلبة الدارسين إن تطلب الأمر لهم بخاصة للطلبة المتقدمين في المستوى العلمي كما في مرحلة البحث الخارج.

دور الفقيه في عمل مدرسته وإدارتها.

إذا كان الفقيه على رأس الهيكل التنظيمي للمدارس العلمية، فإنّ هذا الهيكل

يحدد دوره الذي يتركز في أداء وظائفه الأساسية، وهي أساسيات عمل هامة تسمح للمدرسة بممارسة عملها، وتقديم خدماتها للعلماء وطلبة العلم خدمة لأهدافها المنشودة، فالدور البارز للفقهاء، وهم يقومون بالإشراف على إدارة مدارسهم بما يأتي:

- ١- تأسيس المدرسة بجهوده أو بالاعتماد على أتباعه والقريبين منه.
- ٢- إدارة العمل بالمدرسة والإشراف على نشاطها وسير العمل فيها بآليات متاحة له ولمساعدته كاختيار المعلمين، وتحديد مصادر تمويل الإنفاق على المدرسة، واختيار كتب التدريس، وضبط العلاقات الداخلية للأفراد في المدرسة، وتنظيم الاجتماعات فيما بينهم والتشاور في مشكلات تواجه المدرسة.
- ٣- البحث عن مصادر تمويل لنشاطها اليومي وتحديد الرأي الشرعي.
- ٤- المشاركة في إعداد نظام داخلي يمكنها من العمل بيسر وسهولة أو التغلب على المشكلات الطارئة التي تواجهها.
- ٥- التجهيز والإعداد للكتب والمخطوطات والمواد التي يمكن تدريسها.
- ٦- الإسهام في ترتيب العلاقات الداخلية بين أفراد مدرسته.
- ٧- والاتصال بالعلماء الآخرين الذين يديرون مدارس علمية في مناطق مختلفة من البلد بالرغم من وجود صعوبات متوقعة في الاتصال في تلك الفترة.
- ٨- الإشراف العام على إعداد وتخريج الكوادر العلمية المطلوبة.
- ٩- المشاركة الفعلية في عمليات التدريس وإلقاء الدروس والتأليف ونسخ الكتب والرسائل، وكتابة الحواشي والتعليقات في صفحات الكتب، وإعطاء الإجازات.

المكوّن الثاني: العلماء المعلمون.

ويشارك مع الفقيه في إدارة المدرسة وتوجيه نشاطها معلمون علماء، يتولون القيام بمهام عديدة إدارية وتعليمية كالتدريس، وتقويم مستويات طلابهم من الدارسين، ومنحهم إجازات كفاءة علمية، ومشاركة بعض العلماء في تصنيف كتب الدراسة، ونسخ الرسائل الخطية، وضبط العلاقات التعليمية في أروقة المدرسة أو الحوزة العلمية.

والمكوّن الثالث: الطلبة الدارسون

هم الطرف الأساسي الذي من أجلهم تم تأسيس الحوزات والمدارس، وعقدت حلقات التعليم لإكسابهم مختلف العلوم السائدة، وعلى الأخص العلوم الشرعية، والعلوم العقلية والأدبية، ويدرسونها في مراحل ثلاث (مرحلة دراسة المقدمات، فمرحلة السطوح، ثم مرحلة البحث الخارج) ليأخذوا بعد وظائفهم الشرعية والتربوية والاجتماعية والعلمية.

ويمكن رسم «شكل هرمي» مبسّط لهيكل تنظيمي للعاملين بالمدرسة على النحو التالي:

الفقيه أو المرجع الديني

يرأس الكادر الإداري والتعليمي، وهو أعلى سلطة في الهيكل التنظيمي للعاملين بالمدرسة

ثم مجموعة المعلمين العاملين بالمدرسة، وهم متنوعون من علماء دين وحكماء، وأدباء وشعراء، ومهامهم تدريس الطلبة الدارسين في مجالات المعرفة كالعلوم الشرعية، وعلوم الحكمة العقلية، والأدبية، وكل الخدمات المعرفية لمجموعات الطلبة الدارسين بالمدرسة.

طلبة العلم أو الدارسون بمستويات معرفية متعددة ومختارة، ويتفرقون في مراحل ثلاث، إمّا بمرحلة دراسة المقدمات، أو مرحلة السطوح، أو مرحلة البحث الخارج.

ركائز هامة في النظام التدريسي السائد في المدارس العلمية :

- ويرتكز نظام العمل التعليمي والتربوي في المدارس العلمية البحرانية على الاهتمام والعناية بمهام تربوية بوجه عام، وبخاصة المسائل التالية:
- نوع المواد الدراسية وتقسيمها.
- أنماط التعليم وتصنيفه.
- مراحل التعليم والتعلم.
- تمويل التعليم في المدرسة.

تقسيم المناهج الدراسية^(١):

ارتكزت التجربة العلمية لعلماء التراث التربوي في تحقيق أهدافها وتلبية حاجات المجتمع البحراني في تلك الفترة على العناية بالمناهج الدراسية وتفعيل أدوارها، إذ انبثقت منها قيمة هذه الدور وتم تنظيمه من تحقيق أهداف هذه التجربة، وإدراك علمائها الدور الفعال للمواد الدراسية في خدمة الدين والإنسان وقضايا المجتمع بأسره، وبالتالي نظر هؤلاء العلماء الأبرار للمواد التي يدرسها الطالب كمكون أساسي من المنهج الدراسي حتى بمعناه التقليدي، فتحرك المربون القائمون على إدارة حركة التعليم نحو استخدام هذه المواد كآلية في تحقيق الأهداف وتلبية حاجات المجتمع وإشباعها.

ومن المفيد التنبيه على أن التعرف على نوع المواد التي تم توظيفها في التجربة مشتق من الأوصاف التي أطلقها بعض مؤرخي التجربة العلمية على عدد من العلماء في أثناء تراجهم سيرهم الذاتية والعلمية، فحين يصف مؤرخ تربوي كالشيخ يوسف آل عصفور البحراني في كتابه لؤلؤة البحرين، والشيخ البلادي في مصنفه أنوار البدرين عالماً من العلماء بأنه متكلم وفقه وشاعر، ومتمكن من علوم اللغة والهيئة والرياضيات والمنطق والحكمة والفلسفة فهذا يعني بلغة بسيطة بأن هناك مواد دراسية مكنت هذا العالم أو ذاك من دراستها والحدق في فنونها بمستوى من التفوق والمهارة، وبالتالي يفهم من هذا الوصف نوع المواد الدراسية التي يتم تعليمها في المؤسسات التعليمية لدى علماء البحرين في تلك الفترة التاريخية الغابرة

(١) انظر ما كتبناه في الحلقة الرابعة من كتابنا غير المنشور (الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية في البحرين).

وتفوق فيها علماء ونبغوا في دراستها.

وبتأمل مجمل الأوصاف المذكورة في مصادر التراث التربوي وبخاصة في علم تراجم الرجال نجد أن المواد الدراسية المستفادة في بناء الجانب العلمي من شخصية المواطن البحراني في تجربة الشيعة الإمامية في البحرين تنقسم إلى قسمين أساسيين هما:

١- علوم شرعية مثل علوم التفسير القرآني وعلم الحديث وتفسيره وعلم الأصول، ومعرفة فن قواعد الجرح والتعديل، بالإضافة إلى العلوم الأدبية وعلوم اللغة المساندة للعلوم الشرعية، فهذه العلوم مدخل للتمكن من علوم الشريعة والتقدم في الإحاطة بها، فكيف يمكن للدارسين - مثلاً - أن يتقدموا في علوم القرآن الكريم ومباحثه وتفسيره بدون تحقيق مستوى عال من الحذق أو اكتساب مهارات عالية في علوم اللغة كالنحو والبيان والمعاني؟، وتستغرق دراستها فترة طويلة نسبياً من الزمن تمهيداً لاكتساب طلبة العلم لها.

٢- علوم عقلية مثل علوم الهيئة أو الفلك والرياضيات والحكمة والمنطق والفلسفة وفن الجدل وعلم التاريخ، وهذا النوع من المواد معززة للعلوم الشرعية لأنها مرتبطة معها في تحقيق الأهداف التربوية التي يتوخاها المربي والإنسان المسلم من الشيعة الإمامية في البحرين، فالعلوم العقلية يستفاد منها في تنمية مدارك العقل وتوسيع مداركه وانطلاقته في مسارات تزيد من قناعات المتعلمين بمبادئ عقلية من الإيمان الروحي وتنميته وإثرائه، وسميت دراسة هذه النوعين من العلوم في المرحلة الأولى بـ «مرحلة دراسة المقدمات» في بيئات هذه المدارس حتى يومنا الحاضر، فهيكّل هذا النظام لم يتغير، وإن تغير في برامج التربية.

أنماط التعليم وتصنيفه في هذه المدارس :

بالرغم من اشتغال التجربة التعليمية لعلماء الإمامية في البحرين على مناهج دراسية مألوفة في تجارب التعليم الإسلامي كالمواد الشرعية والعقلية المشتركة، وكثافة إقبال الدارسين والمشاركين فيه من علماء بمستوياتهم المختلفة فإن أنماط التعليم غير النظامي في هذه التجربة الغنية محدودة لأنها مرتبطة بالواقع المحلي، وبأهدافها التربوية، وبحاجات المجتمع البحراني آنذاك، وقد انعكس هذا على التشعبات والتفريعات التنظيمية لعملية التعليم، ومن هنا فإنَّ هذه التجربة التعليمية تضع الباحثين أمام صعوبة حقيقية في تصنيف التعليم إلى أنماطه المكونة له.

ومع أنَّ هذه الصعوبة أمر واقع كما نراه، وهي حقيقة تربوية فعلية إلا أنَّ ذلك لا يمنع من القيام بوضع ترتيب أو تصنيف أولي للتعليم وأنماطه، وهذا التصنيف - كما نراه - نستقيه من واقعية التجربة التعليمية البحرانية بفهمنا المتواضع، وهو في نهاية الأمر مجرد اجتهاد شخصي في قراءة الواقع التعليمي للشعبة الإمامية في البحرين، لكنه بكل تأكيد لا يلزم أحداً في الأخذ به، لأننا نفتقر إلى المستندات التاريخية، ومع ذلك يمكن القول بأنَّ عملية تصنيف التعليم إلى أنماط محددة في هذه التجربة يخضع في النظرة العامة لمعيارين أساسيين يتوقف عليهما تقسيم أنماط تجربة التعليم في هذه المدارس، وهما:

من حيث طريقة التعليم.

من حيث طبيعة المادة الدراسية.

أولاً: من حيث الطريقة

تفرض أمور عديدة كعدد التلاميذ والمتعلمين أو رغبات أولياء الأمور في طلب نوع معين من التعليم أو ظروف المعلم المطلوب في تدريس طالب معين أو مجموعة من الطلاب طريقة التدريس فيكون التعليم فردياً خاصاً بطالب بعينه، أو جماعياً «حلقياً» مفتوحاً لعدد غير معروف وغير محدد من الطلاب والمتعلمين، ومن هنا فإن نوع التعليم وفق ظروف متعددة يتجه إمّا نحو استخدام طريقة «تعليم فردي» أو نحو استخدام طريقة «تعليم جماعي حلقى»، وبالتالي فإن النوع الأول من التصنيف يقوم على فرز التعليم الفردي عن التعليم الحلقى المعروف بطبيعته الجمعية والتشاركية بين أعضاء المجموعة التعليمية، وكلاهما عرفته تجربة التعليم في المدارس والحوزات العلمية البحرانية، بل وفي بعض بيوتاتهم، وهذا يحقق الأهداف التربوية العامة لهذه المدارس، ويساعدها على تنمية الشخصية العلمية.. إمّا:

* بتكوين أولي بالطريقتين السابقتين فردي وحلقى جماعي، وباستخدام أساليب تعليمية متعددة.

* أو بتكوين تدعيمي معزز في مراحل تعليمية متلاحقة، وبطرائق متعددة كالقراءة على يد شيخ، التعليم الشائى، والمناظرات، وغيرها.

وينقسم التعليم - بوجه عام - في التجربة التربوية عند علماء الإمامية في البحرين من حيث الطريقة إلى نوعين من التعليم هما.. التعليم الفردي، والتعليم الحلقى أو الجمعي.

١- التعليم الفردي:

وهو نوع من التعليم الذي لا يخلو منه مجتمع تعليمي قديم وحديث، وبخاصة في المرحلة الأولى من الدراسة الحوزوية يتيح لطالب معيّن أن يدرس مادة محددة أو عدد من المواد الدراسية باختياره أو بنصيحة من معلمه وشيخه، ويتم هذا النوع من التعليم بحسب رغبة الطالب أو ولي أمره لمعالجة مشكلة معينة، أو لضمان التفوق في مادة دراسية أو عدد من المواد الدراسية سواء كانت شرعية أو لغوية أو أدبية أو عقلية، ويحاول المربي بطريقة «التعليم الفردي» مراعاة الظروف والإمكانات والقدرات الذاتية للمتعلم، فيسير بتعلم التلميذ حسب قدراته الخاصة، وأصبح هذا الفعل تقليداً مهماً امتد في التاريخ التربوي لتجربة علماء البحرين خلال القرون الهجرية الأربعة المتأخرة، وما قبلها كذلك.

وغالباً ما يتركز التعليم الفردي حول مواد دراسية كتعليم القرآن الكريم ومبادئ الكتابة والقراءة ودراسة بعض علوم اللغة في أول الأمر، ثم يقل استخدامه، فيما بعد خلال المراحل العليا للتعليم، لكنه لا يتوقف ولا ينقطع، ويظل الطالب بحاجة إليه في فترات لاحقة وخاصة به، لذلك يقوم المعلم باستخدامه وتطبيقه مع الراغبين فيه أو مع المحتاجين إليه بأي وجه أو سبب كما حدث في التعليم الأولي للشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور الدرازي البحراني علي يد معلم استدعاه جده لأبيه الشيخ إبراهيم آل عصفور لتدريسه وتعليمه المهارات الأولية كالقراءة والكتابة وتعلم الحساب وتعلم آيات القرآن وحفظه.

قال العلامة المحقق صاحب الحقائق رحمته الله، وهو يصف بداية تعليمه بالمنزل بناءً

على رغبة جده المرحوم الشيخ إبراهيم آل عصفور: «كان كريماً ديناً خيراً رحيماً، ينفق جميع ما يجيء في يده على الأضياف والأرحام، ومن يقصده من الأنام، لا يدخر شيئاً ولا يحرص على شيء، وانتحلني ورباني، حيث أنه لم يكن لأبي ولد قبلي، وجعل لي معلماً في البيت للقرآن وعلمني الكتابة»^(١).

إنَّ هذا النوع من التعليم امتد في التاريخ التربوي الإنساني إلى أعماقه البعيدة المتجذرة سواء في تاريخ تجربة علمائنا في البحرين أو خلال تطبيقاته بتجارب المسلمين وغيرهم، بالإضافة إلى تجذر أصوله ومبادئه النظرية في التشريع التربوي الإسلامي، وبالتالي لم يتأخر علماء الشيعة الإمامية في البحرين عن الاستفادة منه في تجربتهم التربوية، وتنظيم التعليم وإدارته.

٢- التعليم الحلقي:

الحلقة التعليمية مصطلح تربوي شائع في «بُنية النظام التعليمي» للتجربة التربوية الكبرى للمسلمين وفي غيرها من تجارب الأمم السالفة، حيث يلجأ إليه في تنفيذ الأنشطة التعليمية دون التزام بعدد الدارسين في الحلقة الواحدة، وربما لا يعوق استخدامه سوى حجم المكان التعليمي وسعة المسجد أو غرفة الدراسة بالمدرسة، فيتم تعليم الطلبة وفق نظام مجموعات في حلقات طلابية متفاوتة العدد^(٢)، صغيرة وكبيرة، ولا تبدو صيغة الحلقات الكبيرة - بقدر معين - مرفوضة

(١) البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، ص ٤٤٢.

(٢) قد يكون لصغر عدد سكان بعض المناطق التعليمية في قرى البحرين، مع صعوبة المواصلات، وتلازم ظروفها الشاقة فالتوقع أن لا يكون حجم الحلقات التعليمية في بعض القرى كبيراً كما هو الحال في المدن الإسلامية الكبيرة في بلاد أخرى.

من قبل القائمين على إدارة التعليم، ولكن للظروف السابقة لا تكون الحلقات كبيرة العدد، ولم تعد التجارب في الأنظمة التعليمية الجديدة تستخدم هذا التعبير إلا نادراً، وإن لم يُلغ هذا المصطلح تماماً من القاموس التربوي النظري والميداني معاً حتى يومنا الحالي.

والملاحظ أن بعض مؤرخي التربية الحوزوية من علماء الشيعة الإمامية في البحرين كان يستخدم في أدبياته النظرية ووثائقه التاريخية مصطلح «الحلقة» كتعليم جماعي للدارسين، ولكن - بمقدار معرفتنا المتواضعة - لم نجد تفصيلاً منهم لحجم الحلقات التعليمية وعدد أفرادها، وظروف العلاقات التعليمية السائدة، ولكن كما نتوقع بتصور ذهني من أن يتفاوت عدد طلاب كل حلقة عن حلقة أخرى سواء كان ذلك في حلقات التعليم بالمساجد أو بالمدارس الفقهية والعلمية أو في حلقات تعليمية بمنازل العلماء وبيوتهم الخاصة، وهذا أمر اعتادته التجارب التربوية في أزمنة ماضية، ولا نجد استثناءً في حلقات التعليم الحلقي البحراني، وتدل الحلقة الدراسية على تعليم جماعي للطلبة، قال صاحب اللؤلؤة عن السيد يوسف السيد جمال الدين ابن السيد نور الدين^(١): «وكان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا»، وقوله عليه الرحمة في لؤلؤته عن حلقة التدريس التي يعقدها الشيخ سليمان الماحوزي في المسجد: «وفي الحلقة جملة من الفضلاء»^(٢) يشرح له نصوص بعض أدعية الصحيفة السجّادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

(١) البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم، مصدر سابق، ص ٩٣، ٤٢.

(٢) البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم، مصدر سابق، ص ١٠.

يقول الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور بأن شيخه الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله الستراوي الماحوزي: «كان يدرّس يوم الجمعة في المسجد بعد الصّلاة (وغالبا ما تكون صلاة الجمعة) في الصحيفة الكاملة السجادية، وحلقته مملوءة من الفضلاء المشار إليهم وغيرهم»^(١)، كان ذاك في يوم الجمعة، ولكنه «في سائر الأيام في بيته»^(٢)، وتفيد العبارة الأخيرة المكوّنة من خمس كلمات أن عملية التدريس في البيت في سائر الأيام قد تكون استمراراً لتدريس أدعية الصحيفة نفسها كمادة تعليمية، وتتم بطريقة إلقائية تعتمد على الجمع بين السماع والقراءة من كتاب الصحيفة السجادية أو يتاح فيها للطلبة استخدام أساليب تعليمية كالحوار والمناقشة والطريقة القائمة على السؤال والجواب، وتوحي الأمور بأن نمط التعليم كان حلقياً وجماعياً. وقال الشيخ علي البلادي في أنواره بما يفيد بانتشار نظام التعليم الحلقي للدارسين: «وكان الشيخ محمد بن ماجد يدرس في مسجد من مساجد البلاد ويجتمع عنده جمع كثير من فضلاء البحرين»^(٣)، وتفيد هذه العبارة أن الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود الماحوزي بعد أن تسلم الرئاسة العامة في البحرين انتقل للبلاد القديم مركز شئون الحكم المحلي، وحاكمه آنذاك الشيخ محمد بن ماجد آل عبد الله البلادي البحراني، وكانت للشيخ محمد بن ماجد بن مسعود الماحوزي البحراني كفقيه حلقة تعليم جماعية بالبلاد القديم في زمن الحكم المحلي بالبحرين. وفي ترجمة حياة وسيرة الشيخ علي بن سليمان بن حسن بن سليمان بن درويش

(١) البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم، مصدر سابق، ص ١٠.

(٢) البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم، مصدر سابق، ص ١٠.

(٣) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، (مصدر سابق)، ص ١٣٤ - ١٣٥.

بن حاتم البحراني القديمي الملقب بـ «زين الدين وهو أول من نشر علم الحديث في بلاد البحرين، يذكر الشيخ يوسف آل عصفور في لؤلؤته أنَّ العالم المذكور له حلقة تعليمية، وقد سافر إلى بلاد العجم واتصل بالشيخ البهائي عليه السلام: وأخذ علم الحديث عنه، ورجع إلى البحرين ونشره، وكان ممن يحضر حلقة درسه الشيخ محمد المذكور (المقصود هنا الشيخ محمد بن حسن بن رجب الرويسي) ^(١) فعوتب على ذلك بأنه بالأمس كان تلميذاً لك فكيف تكون له تلميذاً؟ فقال عليه السلام - وكان على غاية من التقى والورع والإنصاف - إنَّه قد فاق عليَّ وعلى غيري بما اكتسبه من علم الحديث ^(٢)».

فجلس الشيخ محمد بن حسن بن رجب الرويسي البحراني عليه السلام - وهو أستاذه وشيخه - في حلقة درسه (أي جلس في حلقة تلميذه الشيخ علي بن سليمان القديمي البحراني) يتعلم بتواضع جم لا أنفة فيها ولا استكبار من تلميذه المذكور الذي له شهد بالتقدم والنبوغ والتفوق عليه في علم الحديث، فأعطى العلماء والمتعلمين بذلك درساً تاريخياً بليغاً في أدب العلم والتعلم، والمحافظة على قيمته، وبالتالي وضع الشيخ بن رجب عليه الرحمة نفسه معلماً ومتعلماً في آن واحد كما يريد المشرع التربوي الإسلامي تماماً، وحقق الوظيفة المزدوجة في الدور التعليمي الذي يضطلع به الإنسان المسلم، ورد على اللائمين له بأخلاقيات السمو التعليمي عند المشرع التربوي الإسلامي، ونجح في تكوين العالم القدوة.. والنموذج الحسن.

(١) الرويس أو أبو رويس.. قرية من قرى البحرين التي اندثرت، وهي قرية من قرية الغريفة المندثرة أيضاً، وهي تقع بين أبي صبيح والشاخورة العامرتين حتى الآن.

(٢) البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم، مصدر سابق، ص ١٤.

ثانياً: من حيث طبيعة المادة الدراسية

يمكن تقسيم التعليم السائد في التجربة التعليمية لعلماء البحرين في فترة القرون الأربعة، وما قبلها أو بعدها وفق نوع المادة الدراسية التي يتعلمها الطالب، فتجتمع مجموعة طلابية في حلقة تعليمية لدراسة مادة، أو يجتمعون في حلقة أحد العلماء في مادة تفسير قرآني، أو تفسير حديث أو دراسة حوادث ووقائع، وحقائق تاريخية، فطبيعة المادة التعليمية يدور حولها نشاط الأستاذ، وجهد المتعلمين معاً بطريقة حلقة وجماعية في غالب الأحوال، وتتيح لهم القيام بتجمع تعليمي في وقت محدد، ويتم اختياره بالاتفاق بين الأستاذ وتلاميذه أو يقبله الطلبة أنفسهم مراعاة لظروف أستاذهم.

وتنقسم المواد الدراسية إلى تعليم شرعي، وآخر في العلوم العقلية.

١- تعليم العلوم الشرعية:

يتم التعليم بطريقة (فردية أو جماعية حلقة)، وتدرّس طلبة العلم مجموعة المواد الشرعية التي تعتبر مواد أساسية أولى في المنهج الدراسي للتجربة التعليمية لدى علمائنا الأبرار، وينصب تعليم الطلبة في المقام الأول بالمواد الشرعية كالفقه والتفسير القرآني وعلم الحديث وعلم الأصول، وعلم الرجال والجرح والتعديل والسير، وكذلك إلى جانب تدريس العلوم الشرعية يتم تدريس علوم مساندة كعلوم اللغة والأدب، وهي مواد مرتبطة بالمواد الدينية مباشرة كعلوم البيان والنحو والصرف والعروض، والشعر وغيرها، فالتعليم لدى علماء الإمامية في البحرين يستهدف إعداد متخصصين في العلوم الدينية الشرعية، وتزويد

الناس بأحكام الله ورسوله ﷺ، فالأهداف التربوية للتعليم في المؤسسة التربوية الإسلامية تتوجه في المقام الأول نحو خدمة الدين وقيمه الإيمانية، ومقاصده الشرعية، وهذا ملحوظ في تراجم العلماء وتواريخ سيرهم الذاتية.

٢- تعليم العلوم العقلية:

ويتحدد نوع التعليم بمعيار آخر هو - كما ذكرنا - حسب طبيعة المادة الدراسية التي يدرسها الدارسون، فكما كان الطلبة (بطريقة فردية أو حلقة) يتعلمون علوماً شرعية، كذلك يتحدد نوع التعلم في التجربة البحرانية بنوع وطبيعة الموضوعات الفكرية ذات العلاقة بقضايا عقلية كعلوم الفلسفة والحكمة العقلية، والمنطق وفن الجدل، والرياضيات والهيئة أو علم الفلك والشعر والأدب والأخلاق، والتاريخ وتراجم الرجال وسيرتهم الذاتية، حيث يجتمع الطلبة لمناقشة الموضوعات المتصلة بأحد العلوم العقلية المذكورة أعلاها أو مماثلة.

مراحل التعلم والتعليم:

لم نلاحظ في مصادر دراسة التراث التربوي لعلماء البحرين التي اطلعنا عليها تقسيماً لمراحل التعلم والتعليم باستثناء إشارات غير واضحة، وإنما يمكن أن يستفاد من ذلك بوجود إشارات لمرحلة تعليم مبكرة تتمثل في التعليم الديني الخاص بتعلم القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة التي تتم عادة في بدايات مرحلة الطفولة المتوسطة من العمر، وهذه المرحلة جزء من المراحل التطبيقية لتعلم الصغار من سن السادسة حتى العاشرة أو الحادية عشر، ويكون التعليم المصاحب لهذه المرحلة منزلياً في الغالب كتعليم الشيخ يوسف في منزل

جده الشيخ إبراهيم آل عصفور، وهذا التعليم الديني والأساسي - بالمنزل وفي الكتابات - هو مدخل للتعليم بالحوزات أو المدارس العلمية الفقهية في مراحل لاحقة لهذه الفترة، وتهيئة الدارسين لدراسة علوم شرعية وعقلية.

أما المراحل التطبيقية لتعليم الكبار فلا توجد في هذه المصادر إشارات مباشرة عنها باستثناء أقوال عابرة لدى بعض مؤرخي الحركة الثقافية من علماء التراجم كالإشارة إلى وجود علماء مجتهدين أو من شارف منهم على الاجتهاد أو حديثهم عن الإجازات العلمية التي تمنح للمؤهلين من طلبة العلم، وفي ذلك تأكيد على مراحل تعليمية يتخطاها طلبة العلم البحرانيون للوصول إلى مستوى الإجازة العلمية، والإذن والرخصة في الرواية، وكانت المراحل الثلاث المألوفة في تعليم الكبار معتمدة في الحوزات العلمية الدينية والمدارس الفقهية لدى الشيعة الإمامية سواء في البحرين أو في خارجها على حد سواء في هذا الزمان أو قبله، وما يزال العمل بها قائماً منذ تاريخ بعيد، ونتج عن هذا التقسيم المرحلي للتعليم تربية كوادر علمائية بمستويات مختلفة.

ويمكن تغطية المراحل التعليمية ضمن مراحل النمو الثلاث الرئيسية التي حددتها نصوص المشرع التربوي الإسلامي وهي مراحل (اللعب، التأديب، المصاحبة) التي تشكل الإطار النظري للنمو الإنساني في دوائره المتعاقبة، وبالتالي فإن علماء التربية المسلمين العاملين في المدارس الفقهية والحوزات العلمية والدينية قسموا تجارب تعليمهم لمراحل متتالية، وإننا - ولسوء الحظ - لم نتمكن من العثور على مؤشرات واضحة بهذا الشأن باستثناء كلمات دالة هنا وهناك على تعليم الصبي في مراحل طفولته دون تحديد للسن، وغالب إشاراتهم غامضة،

وخاصة للكبار، ولم يتحدث أحد مؤرخي التراث التربوي مما قرأت من مصادر هذا التراث عن مراحل معينة تم تنظيمها وضبطها ورعايتها، فكل ما وجدناه من إشارات تخبرنا عن تعليم في مراحل بما يناسب النمو النفسي للأفراد. وعموماً يمكن تقسيم تعليم الدارسين في ضوء ما خبرناه من كلمات وإشارات في تراث علمائنا الأبرار بالمراحل التالية:

١. المرحلة الأولى لتعليم الصبيان أو الصغار

مرحلة أولى للمتعليم يتعلم فيها الصبي القرآن الكريم، والمبادئ الأساسية للقراءة والكتابة، وبعض الأحكام الشرعية الضرورية اللازمة لنمو الصبي بيولوجياً، بحيث يتعلم الأحكام الشرعية التي تلاحق عملية نموه النفسي وما يحدث له من تغيرات بيولوجية ونفسية، وتكون تأسيسية في المنزل وفق نمط التعليم الفردي أو الانفرادي.

٢. المرحلة الثانية لتعليم كبار الدارسين

ويتضح من تقسيم العلماء أنها تتسع لمراحل تعليم ثلاث للدارسين الكبار أو المتعلمين الكبار، ولكن تعليم الكبار هو التعليم السائد في البيئات التربوية، والمدارس الفقهية لدى الشيعة الإمامية في البحرين وخارجها منذ زمن بعيد، وقسموه لمراحل تعليم ثلاث، ولهذا وضعوا تصنيفاً لمراحل التعليم بحسب سن الأفراد وأعمارهم كما أشرنا، أمّا مراحل «تعليم الكبار» فهي مراحل متعاقبة لتكوين طلبة العلم الدارسين، وهي كما يأتي:

* مرحلة دراسة المقدمات.

* مرحلة السطوح.

* مرحلة البحث الخارج.

١- مرحلة دراسة المقدمات:

وتشتمل على دراسة علم النحو والصرف والبلاغة والمنطق، وهذه العلوم يدرسها طالب الفقه مقدمة له لأن فيها من قواعد علمية يستعين بها الطالب والباحث والعالم كوسائل إلى معرفة الحكم الشرعي من دليله ومصدره.

٢- مرحلة السطوح:

وهي المرحلة الثانية بعد مرحلة دراسة المقدمات، وسميت بذلك لأن الدراسة فيها إذا ما قورنت بدراسة المرحلة التي تليها وهي مرحلة البحث الخارج تكون سطحية بالنسبة إليها لعدم اعتمادها منهجياً على بيان الدليل أو التوسع والتعمق في دراسته وبحثه، وتشمل دراسة الكتب المقررة في الفقه وأصوله بحسب ما تستجيب فكرة الأساتذة البارعين، وترغب إليه طباعهم، وطباع الطلاب من حيث الإتقان والتدرج من سهل إلى أصعب.

٣- مرحلة البحث الخارج:

يمثل المرحلة الثالثة والأخيرة من الدراسة الحوزوية، وسميت بالبحث الخارج لأن الدراسة فيها تكون خارج الكتب المقررة، حيث تعتمد طريقة المحاضرة، وتعتمد على دراسة أدلة المسائل والقضايا الفقهية والأصولية، والتوسع والتعمق فيها، وأن يكون الأستاذ في هذه المرحلة فقيهاً، أي أن يكون له رأي فقهي في المسائل الفقهية «المطروحة للبحث والمناقشة الحوارية، وفي هذه المرحلة يتميز

الطالب النابغ عن غيره ولا يبخل حقه لأنه هو ذلك الذي يعترف له ذو الفضل بالفضيلة بعد الاختبار بالمذاكرة والتدريس والتأليف حتى إذا سبر مقدار نبوغه في العلم وملكته الاستنباطية حاز من تلك الكلية الكبرى الشهادة أو الإجازة التي هي عنده أغلى من كل نفيس»^(١).

تمويل التعليم في المدارس :

احتاجت المدارس الفقهية - كمؤسسات تعليمية - في البحرين إلى الدعم المالي والمادي وتمويل أنشطتها التربوية اليومية المعتادة كي تحقق أهدافها المحددة، فمن الصعوبة بمكان بلوغ هذه المدارس لمراميها التربوية ما لم تتمكن من تمويل فعاليتها المختلفة، بيد أن مؤرخي الحركة العلمية في البحرين لم يذكروا لنا إشارات كثيرة عن مصادر تمويل التعليم الديني في المدارس الفقهية المنتشرة في عدد كبير من مناطق البحرين سواء في قراها أو مدنها، أو يمكن القول على - أقل تقدير - بأننا لم نستطع التعرف على مزيد من هذه الإشارات، بيد أنه - من المؤكد - لكل مدرسة فقهية ما تعتمد عليه في تمويل نفسها، والإنفاق على التعليم، وتقديم المصروفات المالية لمختلف أنشطتها.

ومما لا شك فيه أن إدارة كل مدرسة فقهية في البحرين سواء في القرنين (١٢)، (١٣) الهجريين أو في قرون مختلفة سابقة ولا حقة تستفيد من الحقوق المالية الشرعية المعتمدة في الفقه الإمامي وبخاصة فريضتي (الخمس والزكاة) والصدقات والنذور الشخصية، فهذا إرث فقهي قديم يرتبط بالنظرة الشرعية للتعليم

(١) حبيب، عبد علي بن محمد، جزيرة سترة بين الماضي والحاضر (دراسة وتحليل)، ص ١١٣، ١١٤ نقلاً عن مصادر أخرى.

وتمويله، فالمدرسة الدينية والعلمية ليست لديها مصادر استثمار ثابتة لتمويل أنشطتها التعليمية إلا بمصادر تقليدية مألوفة في التاريخ التربوي للمسلمين كالأوقاف الشرعية، ومن هنا يتعذر قبول فرضية وجود مصادر تمويل غير تلك الحقوق الشرعية والأوقاف الشرعية الآنفه الذكر المعروفة في المجتمع البحراني، وما يبذله بعض المقتدرين مالياً.

ومما يساعد على ذلك أن القيادات في المدارس الفقهية التي تقوم بإدارتها هم من علماء الدين الفقهاء الذين يحظون بثقة الناس واحترامهم، كما أن مؤسسي هذه المدارس غالباً ما يعتمدون المصادر السابقة في تمويل أنشطتهم في المدارس الفقهية والإنفاق عليها بإذن شرعي من توفير كتب ودفع رواتب (أجور للمعلمين وطلبة العلم)، وتقديم عطاءات مالية ومكافآت رمزية، واقتناء البُسط أو المفروشات الشائع استخدامها آنذاك.

ويستفاد من ذلك أن المدارس الدينية أو الحوزات العلمية لدى الشيعة الإمامية في البحرين وفي غيرها قد اعتمدت على نفسها في تمويل التعليم، وهذا أكسبها على امتداد تجربتها التربوية التاريخية في البحرين وخارجها حالة متقدمة من الاستقلالية والاعتماد على الذات خاصة في البلاد المحكومة بأنظمة سياسية معادية لنهج وخط أتباع أهل البيت (عليه السلام)، أو لا تتبناه تشريعاً وتنفيذاً، ومن هنا اتجهت مدارسنا الفقهية وحوزاتنا العلمية في البحرين وغيرها من بلاد العالم الإسلامي كالعراق وإيران ولبنان والبحرين إلى تمويل نفسها معتمدة على قواها الذاتية، ومستخدمة كل المصادر المالية الدينية التي تعتبر في نظر الفقيه الشيعي حقوق شرعية ملزمة للناس الذين يعتنقون مذهب أهل البيت (عليه السلام) بواجبات

التكليف الشرعي أو بالتبرعات المالية الطوعية.

ويتوقع - كما تؤكد بعض الشواهد المدونة والمسجلة من أقوال بعض علماء ومؤرخي تراث الحركة التربوية في البحرين كصاحب الأنوار - أن يؤازر الحقوق الشرعية المالية في عملية تمويل التعليم الديني والعقلي لدى الحوزات والمدارس الفقهية نزعة المؤمنين للتبرعات الشخصية الطوعية التي يقدمونها خاصة الأفراد المقتدرين منهم مالياً لأصحاب هذه المدارس ومنهم الفقهاء، والعلماء العاملون بهذه المدارس أو الذين يتصدون لإدارتها، ويقف وراء هذه النزعة الإيمانية بالتبرع شعور ديني أو أخوي اجتماعي يؤجج الحماس ويثير حميتهم.

حكى الشيخ علي البلادي مصنف كتاب الأنوار قصة عجيبة لا تخلو من فضائل العلماء والقيم العليا للمتعلمين، وتنطوي في الوقت على دور إيجابي للحكام الفضلاء الصالحين في الإنفاق على التعليم، واعتبارهم أحد مصادر الدعم المادي وتمويل التعليم في البحرين قبل قرون من زماننا، يقول الشيخ علي البلادي في أنواره: « إن العامل الماجد الشيخ محمد بن ماجد هو شيخ الإسلام في البحرين وولي الحسبة الشرعية، وكان الحاكم فيها من قبل العجم هو المرحوم الشيخ محمد آل ماجد البلادي البحراني، وكانت عند الشيخ محمد عمارة بجانب البحرين، وكان الشيخ محمد بن ماجد^(١) يدرس في مسجد من مساجد البلاد ويجتمع عنده جمع كثير من فضلاء البحرين.

(١) المقصود هنا الفقيه الكبير (الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود الماحوزي البحراني) الذي تولى الرئاسة العامة بالبحرين، فانتقل لممارسة شئون الحكم المحلي الديني في البلاد القديم مركز الحكم المحلي.

وكان المسجد المذكور الذي يدرس فيه الشيخ المزبور على طريق العمارة التي يعمرها ذلك الحاكم، وفي كل يوم يركب ذلك الحاكم عصراً للنظر إلى عمارته، فيمر بالمسجد الذي يدرس فيه الشيخ ويجلس معهم ويستمع البحث ثم يركب فرسه ويمضي إلى عمارته، فكان يوماً تأخر من وقته الذي يركب فيه وظن أن الدرس قد انقضى بسبب تأخيره فمر عليهم ولم يمرض إليهم، فرآه الشيخ والجماعة ماراً، وفي آخر النهار رجع من العمارة ومر على المسجد، وإذا هم حضور فيه لم يتفرقوا عنه فنزل ودخل وسلم على الشيخ فزبره الشيخ وغضب عليه وتفل في وجهه وسبّه وقال له: قد شغلتك الدنيا وجهها عن استماع أحكام الله وأخبار آل رسول الله ﷺ والشيخ الحاكم يتضرع بين يديه ويعتذر إليه بظن فوات الوقت عليه، والشيخ يزيده سباً ويؤليه غضباً.

وكان الشيخ رحمه الله فيه حدة مزاج وصلافة، ولما تفل في وجهه مسح الحاكم التفلة بيديه وقال الحمد لله الذي جعل ريق العلماء شفاءً من كل داء وتفرق المجلس بعد ذلك والشيخ على غضبه عليه، ولما افترقا وذهب عنه الغيظ فكر في نفسه ورأى أنه قد أخطأ معه وهو حاكم البلد ورئيسها على الإطلاق ولا سيما أنه اعتذر إليه بعذر، ثم يضيف الشيخ البلادي مصنف كتاب الأنوار، وقال: «ذلك الحاكم هو الذي يجري الإنفاق على الشيخ وتلامذته من ماله فخاف الشيخ أن يعقبه ذلك الحاكم بسوء ومكروه لسوء صنيعه معه، فلما مضى شطر من الليل وإذا بباب بيت الشيخ يطرق فخاف من ذلك وارتقب ما ظنه مما هنالك، وأرسل من يكشف الخبر، وإذا هو رسول ذلك الحاكم ومعه خلعة وكسوة له ولأهل بيته ولتلامذته دنانير ودراهم زيادة عن وظائفهم المقررة المعتادة، ويقول له: «إن الشيخ يعتذر



ويقول هذه كفارة وصدقة عما عملناه هذا اليوم من التقصير، فطابت نفس ذلك الماجد بعد الخوف والكدر، وآمنت من ذلك الحذر»^(١).

ونستنبط من المادة الثقافية للنص التاريخي جملة من الحقائق، وهي جميعاً - كما توحى المفردات الغوية للقصة - قصة تستبطن معاني نبيلة، وتدل على قيم إيمانية وروحية وأخلاقية وإدراكية إيجابية كتقدير دور الإنسان وقيمة العلم والتعلم والتعليم ونمط العلاقات الإنسانية في الممارسة التربوية للشريعة الإمامية في البحرين، وإن استبطنت مواقف سلبية من الحاكم الديني والفقهاء الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود الماحوزي البحراني.

ومن هذه الحقائق المستمدة من الموقف السابق ما يأتي:

- ١- تأكيد المربي البحراني على قيمة التعلم والتعليم في حياة كل فرد (حاكماً ومحكوماً) امثالاً لأوامر المشرع التربوي الإسلامي في حياة الناس.
- ٢- أن المسجد هو أحد أماكن التعلم والتعليم في البيئة التربوية الإسلامية بالبحرين على امتداد العصور كسائر مناطق العالم العربي - الإسلامي.
- ٣- يفيد النص بشيوع طريقة «السماع» كإحدى أهم الطرق التعليمية ذات الامتداد الزمني، والمتأصلة في التراث التربوي البحراني، أسوة بشيوعها في التراث التربوي الإنساني.

- ٤- وتؤكد الحادثة التاريخية المذكورة - كنص تربوي - مدى احترام المتعلمين

(١) علي بن حسن البلادي البحراني، كتابه (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين) ص ١٣٤ - ١٣٥، وانظر كذلك ما أشار إليه الأستاذ سالم عبدالله النويدري في كتابه (أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرناً) مجلد ٢ (ترجمة حياة الشيخ محمد بن ماجد) ص ٢٣٤.

حتى لو كانوا حكماً لأستاذهم وإن أخطأ هذا الأستاذ بحقهم وأساء.

٥- أن الاعتذار كان «منهجية سليمة» لتحقيق سبيل الرشاد وتحسين العلاقات في المؤسسة التعليمية وفي غيرها، وهو من أقوى جسور بناء الثقة، وعوامل تنمية العلاقة بين المعلمين والمتعلمين في تجربة التعليم الإسلامي في البحرين العربية ذات السبق الإياني الأصيل كما أكدت مصادر تاريخية كُثُر.

٦- اختلاف مشايخ وأساتذة التجربة التعليمية في الحدة والمزاج، فمنهم من لا يأخذه الغضب بسهولة كوالد صاحب الحداثق، ومنهم من يأخذ الغضب منه مأخذه من أجل الحق ومصلحة طلبة العلم كشيخ الإسلام الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود الماحوزي البحراني رحمته الله.

٧- أن الموقف السابق أوضح ضرورة مراجعة الذات في سلوكها الخاطئ بالتأمل والتفكير الهادئ، والاعتراف بالخطأ كأول خطوة لتصحيح سلوك الذات سواء بالنسبة لحاكم أو لعالم تعامل مع الحاكم بصلافة وحدة انفعالية واضحة، ومع ذلك نرى أن في موقف العالم والحاكم معاً نموذجاً للمراجعة ونقد الذات والاعتراف بالخطأ.

٨- أثبت الحاكم بن ماجد آل عبد الله البلادي قدرة فائقة في السيطرة على نفسه وضبط داخلها، وتوجيه انفعالاتها في مصب الخير، ومسار قيمي يظهر احترام علماء الأمة مهما كان نوع الشخصية، ومنصبه، ومهما كان عليه الموقف من صعوبة.

٩- أوضحت القصة كـ «موقف تربوي تاريخي» مصدراً آخر لتمويل التعليم والإنفاق عليه في التجربة التعليمية لدى علماء البحرين، ويأتي هذا التمويل في

أحد أشكاله من تمويل بعض الولاية والحاكمين للتعليم سواء كان تعليمًا دينيًا أو عقليًا، وغالبًا ما يكون الممول وهو الحاكم المحلي هنا (عادلًا ومحباً للعلم والتعليم) أو متعاطفًا مع العلماء وطلبتهم.

١٠- تقدم القصة المذكورة علاجاً سلوكياً وأخلاقياً لمواقف الحدة والمزاج، فالحاكم بدلاً من أن يأخذ الشيخ إلى السجن أو المجهول، فإنه اعتذر منه وقبل إساءته وتحمل سبه، وردَّ الإساءة بالإنعام عليه والإحسان له، فقدم له ولتلاميذه خلعة وكسوة ومزيداً من الدنانير له ولتلاميذه، بالإضافة إلى رواتبهم المعتادة، وجعل ذلك صدقة، فأزال من نفس أستاذه الخوف والكدر وأعاد لها الهدوء، وقدم نفسه نموذجاً للحاكم السوي الذي يقدر العلم ويحترم أهله، ويعالج السلوك الإنساني الخاطئ بما يضاده بسلوك قيمى وإيجابى، أى علاج الرذائل بالفضائل.

وهكذا فالمؤسسة التعليمية الدينية تستعين بنظام «التبرعات الطوعية للأفراد»، وبمصادر الإلزام الديني بدفع الحقوق الشرعية المالية للفقهاء في تمويل أنشطتها سواء كالتعليم والإنفاق عليه، وتدير نشاطاتها ما أمكنها، أخيراً تبقى هناك فرضيتان واقعتان تفيدان في التعرف على مصادر تمويل التعليم الديني بالحوزات العلمية والمدارس الفقهية المنتشرة في البلاد وهما:

* وجود مصدر لتمويل التعليم بتقديم بعض طلبة العلم أو بعضهم على أقل تقدير مبلغاً من المال قدر استطاعتهم أو تحويل المصدر المالى لـ «وقف شرعى» يدعم أنشطة المدرسة العلمية والفقهية على حدة، لكن لم نعر على ما يشهد بصحة الافتراض مع واقعيته خاصة من المقتدرين مالياً.

* وجود حالة تعاون بين المدارس الفقهية والحوزات العلمية الموزعة في

مناطق مختلفة لتمويل نشاط بعضها وسد نقصها المالي، فليس صعباً علينا قبول النظرة الافتراضية التي تقول بأن مدرسة فقهية بجزيرة النبي صالح مثلاً تقوم وفق مسؤولياتها الشرعية بتقديم العون المالي لمدرسة فقهية أخرى بجزيرة ستره - مثلاً - حينما يتطلب الأمر تقديم هذا العون لأن الحقوق الشرعية المالية - مع افتراض صحة تقديمها بالمنطقة أولاً - هي لجميع المسلمين، وتخدمهم، فالمرجع الإسلامي لا يمانع بصرفها هنا وهناك، وإنفاقها في مناطق أخرى من المجتمع المسلم طالما تخدم أفرادهم وجماعاته.

تأسيس ودعم العمل في المدارس العلمية في مجتمعات هجرتهم:

تحت ظروف تاريخية مختلفة وجد العلماء البحرينيون أنفسهم أمام هجرة طوعية أو قسرية، وقصدوا حواضر العراق وقراه، ومدن إيرانية مختلفة وقصبات القطيف والأحساء ومدن في سواحل الخليج، وهناك حاولوا الاندماج في بيئاتهم ومجتمعاتهم الجديدة والتكيف معها بإيجابية ونقلوا خبراتهم التعليمية، ومن ذلك أنهم أسهموا في قواعد نهضة ثقافية بهذه المجتمعات كتأسيس مدارس علمية بمجتمعات هجرتهم أو العمل فيها كما فعل الشيخ عبد الله نور الدين البحراني صاحب العوالم، حيث ساعد أستاذه العلامة الكبير المحدث الشيخ محمد باقر المجلسي رضي الله عنه في تأسيس مدرسة في مدينة أصفهان الإيرانية لتحقيق أهدافها.

أما فقيهننا الكبير الشيخ يوسف بن أحمد الدرازي البحراني فلمساته بارزة في دعم المدارس العلمية التي كانت قائمة في المدن الإيرانية التي قطنها، بل إنه رحمه الله

قد عمل فيها بدعم بعض حكامها كعمله في مدرسة الميرزا محمد علي^(١)، وكذلك انخرط الشيخ عبد الله بن صالح الساهيجي بالتأليف والتدريس في مدارس بمدن إيرانية مثل مدينة كرمان وأصفهان وبهبهان التي استوطنها^(٢)، وكذلك ما فعله علماء أسرة العصفور في مدينتي شيراز وبوشهر وغيرهما من العمل في مدارس فارس وتوابعها، وقيام الشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني صاحب منار الهدى وابن أخته الشيخ أحمد بن محمد سرحان العكري البحراني بالتدريس في مدارس ومساجد لنجة ومدن عمانية كعمله التدريسي المستمر بمسجد ابن عباس رضي الله عنه.

آثار المدارس العلمية البحرانية ومعطياتها الإنسانية في فترة النهضة:

سخر علماءنا الأبرار في البحرين منذ قرون مدارسهم العلمية كمؤسسات لدعم عمليات التعليم والتنمية الثقافية، وتوليد المعرفة، وتوظيفها جميعاً في أنشطة ومجالات من أجل تحقيق الأهداف الكبرى للدين، وخدمة المجتمع البحراني في مختلف مجالاته، فأعطت آنذاك بعض ثمارها في مجالات تربوية واجتماعية وسياسية وقضائية كما سنرى، وما نذكره ليس سوى نماذج محدودة من هذه الثمار، ونذكر من ذلك:

* المستوى التربوي والاجتماعي.

* على المستوى السياسي.

(١) البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم، لؤلؤة البحرين (مصدر سابق)، ص ٤٤٤.

(٢) الدراري البحراني، يوسف بن أحمد، مصدر سابق، ص ١٠١، والبلادي، علي بن حسن، أنوار

البدري (مصدر سابق) ص ١٧٣ - ١٧٤.

* والمستوى القضائي.

أولاً: المستوى التربوي والاجتماعي

١- أدى انتشار المدارس العلمية في أرجاء البحرين ومناطقها المختلفة إلى قيام حركة علمية وثقافية وروحية قوية أنعشت حياة المجتمع البحراني آنذاك وهيأته للقيام بأدواره الحضارية، وبوأتها لمكانته اللائقة في العالم الإسلامي وبخاصة في دول الإقليم المجاور لبلادنا البحرين، وما تزال إشعاعات هذا الواقع تبسط جوانب الإضاءة على الناس.

٢- برزت في داخل هذه المدارس وبين العلماء أنفسهم اتجاهات معرفية وبصمات فكرية متعددة ومتكاملة مثل ظهور: (مدرسة التفسير القرآني بين علماء البحرين، ومدرسة الحديث الشريف والعناية به، ومدرسة الدعاء، وتآلق المدرسة الفقهية، وبروز علماء يمثلون مدرسة تاريخية، ومدرسة بارزة الاتجاه الأدبي في الشعر، والأدب، وعلوم اللغة العربية، وكذلك مدرسة الحكمة العقلية... الخ).

٣- استقطبت مدارسنا العلمية بسبب شهرتها العلماء، واهتمامات الدارسين ونشاطهم من خارج البلاد الذين شدوا الرحال إلى بلادنا العزيزة، وهم يحملون آمالهم في طلب العلم وكسبه، وتزويدهم بالخبرات وتأهيلهم كرحلة الشيخ الجارودي للبحرين، والتحاقه بمدرسة الفقيه الشيخ سليمان الماحوزي سنة ١١٢١هـ وأخذ إجازة علمية منه رآها صاحب الأنوار على ظهر رسالته العلمية مختصرة^(١)، ثم انتقل بعد وفاة شيخه الماحوزي إلى مدرسة بوري والقدم ليتلقى

(١) البلادي، علي بن حسن، مصدر سابق، ص ٢٩٧، والنويدري، سالم بن عبد الله، مصدر سابق (أعلام الثقافة الإسلامية)، ج ٢ ص ٤١٥.

العلم على يد أستاذه الشيخ عبد الله السماهيحي المتوفي سنة ١١٣٥هـ، وأخذ منه إجازة كبيرة شهيرة كتبها في ٢٣ من شهر صفر سنة ١١٢٨هـ كما في روضات الجنّات^(١)، ووصول وفد مرسل من حاكم أصفهان للبحرين لمقابلة الأديب والشاعر الشيخ حسن الدمستاني^(٢)، وعرض مجموعة مسائل عليه للإجابة عليها، وهناك نماذج للعلماء القادمين لجزيرة البحرين كوالد الشيخ الشيخ البهائي، والشيخ محمد الجزيني العاملي رحمة الله عليهما.

أحدثت المدارس العلمية في البحرين نمواً تصاعدياً وإيجابياً في العلاقات الاجتماعية بين العلماء والدارسين (طلبتهم) من مختلف المناطق في البلاد سواء في المناطق التي تقع فيها المدارس أو من مناطق أخرى، أو من خارج البحرين، حيث توافد على هذه البلاد طلبة وراغبون في العلم والدراسة من مختلف البلدات والقرى البحرانية.

٥- أدى انتشار المدارس العلمية في البلاد إلى حراك ثقافي واجتماعي وتعليمي فأصبح بعض العلماء في وضع اجتماعي جديد، والانتقال لواقع اجتماعي أفضل كما حدث للشيخ يوسف العصفور البحراني على سبيل المثال لا الحصر، وتحسنت أجواء التصنيف وكتابة الرسائل العلمية، ونشطت حركة نسخ الكتب، وعمليات التدريس والتعلم وغير ذلك.

ثانياً: على المستوى السياسي

١- صنعت هذه التجربة الثقافية الرصينة في داخل بلادنا البحرين، وفي خارجها

(١) البلادي، علي بن حسن، مصدر سابق، ص ٢٩٧، والنويدري، سالم بن عبد الله، مصدر السابق، ج ٢ ص ٤١٦.

(٢) البلادي، علي بن حسن، مصدر سابق، ص ٢١٩.

حركة جهادية مقاومة تصدت للطغاة وتسلطهم، ومواجهة حكام الجور والغزاة في مراحل مختلفة من حياة الشعب البحراني وبخاصة في القرنين (١٢، ١٣) الهجريين، وقد دفع بعض العلماء ثمن موافقهم المعادية للغزاة المعتدين، وواجه بعضهم حالة الإحباط السياسي كحال السيد شبر الستري الغريفي البحراني.

٢- تولي بعض العلماء وظائف سياسية كالرئاسة العامة للبلاد كالمحقق سليمان الماحوزي والشيخ محمد بن ماجد بن مسعود الماحوزي البحراني الذي عرف في بعض كتب مصادر التراجم بـ«شيخ الإسلام» أي قاضي القضاة في الإسلام، والسيد هاشم التوبلاني البحراني، وغيرهم، وكان ذلك في مراحل مهمة من فترة ازدهار التاريخ الثقافي للبحرين، وبخاصة في زمن الحكم المحلي أيام خضوع البلاد لحكم الفرس.

ثالثاً: على المستوى القضائي

١- تمكين كبار العلماء من ممارسة أدوار قضائية هامة تدخل في نطاق «القضاء الأهلي» أو القضاء الرسمي في مراحل متأخرة ومتقدمة على حد سواء، ومنهم على سبيل المثال الشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني المرافق للشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني في هجرته طلباً للمعيشة فاتفق أن يبقى أحدهما وهو الشيخ صالح في شيراز، وهاجر كمال الدين للهند طلباً هو الآخر للمعيشة، حيث أوكل السلطان الفارسي الشاه سليمان لهذا الفقيه الشيخ صالح الكرزكاني منصب القضاء في دار العلم شيراز، ولما أتته خلعة القضاء من السلطان المزبور، ورقم القضاء امتنع من لبس الخلعة المذكورة، وبعد الالتماس والتخويف من

سطوة السلطان وغضبه لبسها كما يلبس العباءة على ظهره^(١)، ويدل موقفه على زهده واحتجاجه في آن واحد ما أظهره من غضب على ظلم الشاه، ولم يقبل منه تولي هذا المنصب إلا على مضض، ورغبة في تعزيز المصلحة العامة للناس.

محنة المدارس العلمية في البحرين:

من الحقائق الواضحة في التاريخ الثقافي لتجربة علمائنا التربوية الكبرى التي غيّبها بعض مؤرخي السلطة بإهمالهم التام لهذه المدارس، حيث لم يتم من قبلكم رصد واقع المحن التي واجهتها هذه الحركة، وللظروف التي مرت بها، وصاحبيتها في فترات من عمليات الغزو الأجنبي والإقليمي، وبخاصة ما حدث لأهل البحرين، وتجربتهم الثقافية من محن الغزو العماني عليهم.

ونقصد بـ«محن البحرينيين»، ونحن ندرس العلاقة التاريخية بين الحركة العلمية وما جرى أيام الاحتلال العماني للبحرين، وما واجهته بلادهم وحركتهم الثقافية من هدم بعض المدارس العلمية، وتخريبها، وسفك دماء العلماء والطلبة الدارسين، ونهب مخطوطاتهم وكتبهم وتمزيقها، وفرار العلماء وعامة الناس في داخل البحرين وخارجها طلباً للأمن وحماية أنفسهم، وتعرضهم لحالات من الشتات في الدول المحيطة بالبحرين، وما صاحب ذلك عادة من مشكلات واجهت في عملها ونشاطها اليومي، حيث تعرض بعض المدارس للهدم والتدمير من قوى الغزو الخارجية والإقليمية كالحملات العمانية على مدرسة الشيخ داوود بن حسن الجزيري البحراني، ومكتبة أسرة آل عصفور في قرية الشاخورة، وكذلك قتل علمائها وطلبها، وأيضاً سرقة المخطوطات خارج البلاد وإتلاف

(١) البحراني، يوسف آل عصفور، مصدر سابق (لؤلؤة البحرين)، ص ٦٩.

بعضها عن عمد وسبق إصرار^(١)، وليست الإشارة إلى هذه المدارس إلا مجرد أمثلة نذكرها، ولا يستبعد أن تغيب التاريخ في تلك المرحلة المظلمة للمآسي والمظالم، وهي حقائق تاريخية كان أشد وأصعب وأدهى، ولكن لم نستطع رصده وتوثيقه حتى لحظة إعداد هذه الدراسة، ومع ذلك فما رصدناه، ووثقنا بهذا القدر الملحوظ بعض حقائقه قد أعاق بالتأكيد ممارسة العلماء وطلبتهم نشاطهم كما كان، وقلل من فرص مساهمتها في توليد المزيد من المعرفة العربية والثقافة الإسلامية.

نتائج اندثار المدارس:

لم تبق هذه المدارس بقوتها، بل ضعفت في أوقات متأخرة خاصة بعد الضربات الموجهة لها من الغزاة وخضوع البلاد لسيطرتهم وتدخلهم في تخريبها، ومحاربة العلماء، وشيوع ظروف أخرى، فترتب عن ذلك حدوث نتائج خطيرة على نشاط الحركة العلمية في البحرين تدريجياً.

ومن هذه النتائج ما يلي:

١- إصابة النهضة العلمية بحالة فتور وضعف في القرن (١٤) الهجري لأسباب متعددة كهجمات القبائل البدوية الوافدة وغزو العثمانيين المتكرر التي أدت إلى تدمير بعض المدارس في الشاخورة وجزيرة النبي صالح، ونهب الكتب وسرقة المخطوطات وغير ذلك.

٢- من النتائج كذلك غياب شبه تام للمرجعية في البحرين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، وما تزال تعاني من هذه الحالة بالرغم من ظهور

(١) انظر ما كتبناه في هذا الموضوع.. كتابنا «دراسات في الفكر التربوي عند الإمامية في البحرين»، وكذلك كتابنا (الاحتلال العثماني للبحرين وآثاره التدميرية للحركة العلمية).

علماء متألقين بلغوا مستويات من الفقاهاة.

- ٣- بقاء وتراجع عملية التأليف والتصنيف، وتدني حركة الإنتاج الثقافي لعلماء البحرين سواء في داخل البلاد، وفي خارجها، وارتبط هذا الحال بحالات الشتات، وخروج العلماء، ومئات العوائل إلى دول مجاورة والسكن فيها.
- ٤- هجرة عدد كبير من العلماء ومباشرتهم تأسيس مدارس خارج البلاد كالشيخ عبد الله نور الدين البحراني صاحب العوالم المشهور، وحوزة علماء الشيخ علي بن جعفر الرباعي البربوري في مدينة شاهجهان بالقارة الهندية^(١).
- ٥- فقدان القوة في ثقافتنا الأصيلة وتأثيرها على المجتمع البحراني، أو توقفها عن الإنتاج، وبذلك تضاعفت سمعتها تدريجياً لدى الآخرين.

توصيات لتفعيل دورها الحضاري من جديد :

- ثمة توصيات نقترحها عسى أن تحظى باهتمام المهتمين بالتراث التربوي والثقافي لعلماء البحرين، وتجديد قدراته وتفعيل دوره الحضاري، ومنها ما يأتي:
- ١ - تشجيع المؤسسات وعلماء البحرين المعاصرين المهتمين بالتراث الثقافي والروحي لعلماء بلادهم السابقين على العناية به، وحث الباحثين على دراسة «الفكر التربوي عند علماء الإمامية وغيرهم في البحرين» في خطوط البحث التربوي المجملية والتفصيلية بطرائق عمودية وأفقية خلال فترة نهضتهم الحضارية ودراساتها،

(١) طهراني، آغا بزرت طهراني، طبقات اعلام الشيعة، ج ٩، (الكواب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة)، ص ١٣١، ٣١٩، ٤٥٢، ٥٢٨، ٧٧٠، ٧٧١، ٨٣١، ٨٣٢، وكتاب موسوعة طبقات الفقهاء، ج ١٢، ص ٤٤، ٤٥، ٣٠٢، ٣٠٣ ترجمة الشيخ حسن أحمد بن عبد الله بن جمال البلادي البحراني، والشيخ محمد بن علي بن عبد النبي بن سليمان المقابي البحراني.

واستثمار عناصر القوّة في تجربة العلماء البحرانيين التربوية والحضارية لإعادة نشاط هذه المدارس أو على الأقل استلهم دورها الحضاري في حاضرنا الحالي.

٢ - العمل على إعادة تأسيس مدارس علمية وحوزات دينية بروح أكثر قوة وإيجابية وعصرية، وهناك اليوم - والله الحمد - محاولات جادة في هذا الشأن للسير في استلهم تجارب الماضين من علمائنا، وتجديد مدارس التعليم بالخبرات العلمية الجديدة، وبمقتضيات الظروف المستجدة التي يعيشها الناس حالياً.

٣ - إجراء دراسات مجملّة وتفصيلية لا من قبل الباحثين الأفراد، بل من مؤسسات تربوية إسلامية، وذلك لدراسة أحوال هذه الحوزات والمدارس، وظروف نشأتها ونظام عملها وبخاصة المشهورة للتعرف على نظام العمل فيها، والعمل على تجديد نشاطها الحضاري بنحو يتيح للأجيال الجديدة الاتصال بباضي آبائهم وأجدادهم، واستثمار إنجازاتهم الإيجابية والبناء عليها بإنجازات جديدة.

٤ - الاستمرار في الكشف عن مخطوطات التراث الثقافي لعلماء البحرين ودراستها في مختلف الاتجاهات والتخصصات الأدبية والشرعية والتاريخية والعقلية، ونشرها بين الناس، وبخاصة بين جموع العلماء والباحثين في قضايا التراث الثقافي البحراني.

٥ - الاستفادة - ما أمكننا - من تجارب مدارس علمية مماثلة ومعاصرة وخبراتها منتشرة في دول متعددة من العالم الإسلامي، ونقل خبراتها، وتجاربها من أجل سد جوانب القصور والنقص التي نحتاجها اليوم للتغلب عليها في عالمنا الجديد المتغير.

مصادر الدراسة ومراجعها :

- ١- السماهيجي البحراني، عبد الله بن صالح بن جمعة بن شعبان، كتاب (الإجازة الكبيرة إلى الشيخ ناصر بن محمد الجارودي القطيفي)، تحقيق الشيخ مهدي العوازم القطيفي، الناشر (المحقق)، المطبعة: علمية، الطبعة الأولى، سنة ١٩١٩هـ جرية.
- ٢- الدرازي البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم آل عصفور، (لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث)، تحقيق العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم، بيروت، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣- البلادي البحراني، علي بن حسن بن علي، (أنوار البدرين في تراجم القطيف والأحساء والبحرين)، مطبعة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، مدينة النجف الأشرف، العراق، سنة الطبع ١٩٦٠م.
- ٤ - النبهاني، محمد بن خليفة بن موسى، (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية)، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، والمطبعة الوطنية بمملكة البحرين، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م / ١٤٠٤هـ
- ٥ - الطهراني، آغا بزرك (محمد محسن الشريف)، طبقات أعلام الشيعة، ج ٩ (الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).
- ٦ - السبحاني، جعفر وآخرون، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، الجزء الثاني عشر في فقهاء القرن الثاني عشر، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الجمهورية الإسلامية في إيران، قم المقدسة، الطبعة الأولى، سنة الطبع (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٧ - التاجر البحراني، محمد علي بن أحمد بن عباس، (عقد اللآل في تاريخ أوال)، منشورات مؤسسة ودار الأيام للطباعة والنشر والتوزيع، البحرين، المنامة، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، سنة النشر ١٩٩٤م / ١٤١٤هـ

- ٨- الهجري التوبلاني البحراي ، إبراهيم بن الشيخ ناصر المبارك ، كتاب (حاضر البحرين)، مركز الجلاوي، مملكة البحرين، سنة الطبع ١٩٩٤م / ١٤١٤هـ
- ٩- النويدري، سالم عبد الله، (أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال أربعة عشر قرناً)، المجلدات الثلاثة، بيروت، لبنان، مؤسسة العارف للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٢م- ١٤١٢هـ.
- ١٠- حبيب، عبد علي بن محمد، (جزيرة سترة بين الماضي والحاضر (دراسة وتحليل)، المنامة، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١١- الوداعي، عيسى بن السيد جواد، الحركة العلمية في البحرين من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر، الحركة العلمية في البحرين، ذوي القربى، قم المقدسة، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- ١٢- مدن، يوسف بن يعقوب، كتاب (الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية في البحرين)، دراسة تربوية تاريخية غير منشورة.
- ١٣- مدن، يوسف بن يعقوب، كتاب (الاحتلال العماني للبحرين ودوره في تدمير الحركة العلمية)، دراسة غير منشورة، تاريخها سنة ٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ
- ١٤- مدن، يوسف بن يعقوب، كتاب (الفضل الروحي والثقافي للبحرين)، دراسة غير منشورة، تاريخها سنة ٢٠٠٩م.
- ١٥- الديهي البخراني، محمد بن عيسى آل مكباس، مقال: (القرآن وعلمه في تراث علماء البحرين، ص ٨- ١٠، مجلة (ن والقلم وما يسطرون) البحرانية، العدد الأول، جمادى الأولى ١٤٢٧هـ، يونيو ٢٠٠٦م.
- ١٦- النويدري، سالم بن عبد الله، مقال بعنوان: (تراث البحرين الفكري في العصور الإسلامية المتعاقبة)، منشور بالمجلة الرمضانية، العدد العاشر، شهر رمضان المبارك، سنة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.